علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم

١٤

إبراهيم السامرائي

علامة العربية الكبير والباحث الحجة

تأليف
أحمد العلاونة

دار القلم
دمشق

علماء ومفكرون معاصرون
لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم
١٤

إبراهيم السامرائي

١٣٤١ - ١٤٢٢هـ
١٩٢٣ - ٢٠٠١م

علامة العربية الكبير والباحث الحجة

تأليف
أحمد العلاونة

دار القلم
دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى مَن زرع في نفسي حبّ العربية وأخلص في تدريسها وتفنَّن.

أستاذنا المفضال.

إبراهيم بدران

أنزل الله عليه شآبيب رحمته ورضوانه، وحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

الطبعة الأولى
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

تطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

تقديم

بقلم : صبحي البصام

وصلت إليَّ رسالة بالبريد سنة ١٩٨٩م وأنا في إنكلترة، وكان كاتبها الأستاذ أحمد العلاونة من الأردن، يرجوني فيها أن تقام بيننا مراسلة علمية، فأجتبه إلى ما أراد، وبعد شهور طلب مني أن أُرسل إليه بترجمتي ليضيفها إلى كتاب أخذ في تأليفه هو (ذيل الأعلام)، فبعثتُ بها إليه، ثم اتصلتْ بيننا مراسلة قوامها أن يرسل إليّ بتراجم الأعلام لأراجعها من جهة اللغة. وقد استبان لي من المراسلة الطويلة الزمن أنَّ الأستاذ أحمد العلاونة شاب كريم الخلق، متّقد الذكاء، واسع الثقافة، يتلقف الفوائد اللغوية والأدبية تلقّفاً، وهو يتحدَّث في الكتب المطبوعة والتي ستطبع حديث ورّاق خبير، ويقول: الكتاب الفلاني المطبوع نسب تأليفه إلى فلان، والصواب أن مؤلفه علاّن. ويتحدث في أعلام عصرنا هذا حديث العالم بدرجاتهم العلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية، وهو يراسل منهم من لا يُحصون عدداً، وهي مراسلة من شأنها أن توسّع كتابه (ذيل الأعلام)، وأن تنمّي علمه، وأن تكثّر أصدقاءه. وهو لا يكتفي بالمراسلة، بل يسافر من قريته (الطيبة) إلى العاصمة عمان ليلقى أعيان الناس ممن يزورون الأردن، وقد كلّفه ذلك من المال ما لا يعلمه إلا الله، وربّما أصابه من ذلك ما خيّب أمله. اتّفق أن قدم الشاعر محمد مهدي الجواهري إلى عمان سنة ١٩٩٢م، فسافر هو إلى عمان ليلقاه ويأخذ ترجمته، وبات في الفندق، وتوجّه إلى الفندق الذي كان يقيم فيه الجواهري، فقال له الجواهري في عجرفة وكبرياء: «أهذا وقت زيارة؟ أنا

لم أغسل وجهي، ولم أتناول فطوري حتى الآن». وكان وجه الجواهري أشدَّ مرارة من قوله. فانصرف عنه العلاونة وأنف من أن يعود إليه.

وقد نفعتني مراسلتي له منفعةً طائلة، فلولا مساعدته لصَعُب عليّ أن أُعِدَّ مقالاتي التي نشرتها في مجلة (مجمع اللغة العربية الأردني)، ومجلة (البلقاء) التي تصدرها جامعة عمّان الأهلية. وكنت أرجوه أن يصوّر لي صفحات كثيرة من كتب كثيرة، لأقابل بين النصوص التي فيها ونظيرتها من النصوص التي كانت في دفاتري اللغوية، توقّياً من أن يكون فيها غلط، وذلك قبل أن أثبتها في مقالتي، فيسرع إلى تحقيق رجائي، ثم إنه اتصل بـأَخَرَة بصديقي الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي نزيل عمّان، فلما توالى لقاؤهما كتب إليّ السامرائي مظهراً إعجابه بالعلاونة، وكتب إليّ العلاونة مبدياً إجلاله للسامرائي. وكان العلاونة قد ألَّف كتاباً بارعاً في العلّامة الشيخ حمد الجاسر، أثبت فيه ترجمته، وتحدّث في كتبه واحداً فواحداً، وطبعه باسم (حمد الجاسر، جغرافي الجزيرة العربية ومؤرخها ونسّابتها)، ولكنّ الجاسر توفي إلى رحمة الله دون أن يرى الكتاب، ثم رأى أن يؤلّف كتاباً في السامرائي، يذكر فيه ترجمته، ويتحدَّث في كتبه على نحو ما فعل في كتابه في الجاسر، فكان له ما أراد، وخرج علينا بهذا الكتاب النفيس.

وصداقتي للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي بدأت سنة ١٩٤٤م حين كنّا ندرس بدار المعلمين العالية ببغداد، وإني لأذكر أيام كنا نقعد أنا وهو في مقهى البرازيلية بشارع الرشيد في بغداد سنة ٤٥ و ٤٦ فنتفاوض في أمور اللغة، ونتحدَّث في لغة الجرائد التي كان لها أثر في فساد اللغة العربية، فيختار كلٌّ منّا لفظة منها ويصلحها، وربّما عرَّجنا على ذكر العلماء القدماء كثعلب والمبرد والسيوطي، فنثني على مساعيهم في خدمة اللغة العربية ثناءً حسناً، ونذكر أُستاذِينا ونزن عِلم كلٍّ منهم، فترجّح كفّة العلاَّمة طه الراوي رحمه الله، ويليه العلاَّمة الدكتور مصطفى جواد رحمه الله.

وكنا ربما اختلفنا في الرأي، ولكن دون أن تركبنا حدَّة، أو تزري بنا جَفوة، وكنت ربّما عرضتُ عليه شعري قبل نشره في الصحف، فيبدي لي ملاحظات حسنة، ولكني لا آخذ بها، مؤثراً رغيفي البائت على رغيفه الحار، ثم ضرب الدهر ضَرْبَه، فغرَّبَ وشرَّقتُ، وأتمَّ هو دراسته في باريس، وعاد إلى العراق ليكون أستاذاً جامعياً فاضلاً، ثم ليكون عَلَماً من أعلام الأدب واللغة والشعر، وكنت قلَّما ألقاه، على أني كنتُ ألقاه من طريق ما أقرأ مما ينشره من علمه الرائق الفائق. ثم إني طرت إلى إنكلترة، واتّخذتُ وَكْري الدائم فيها، وكنتُ أنشر مقالاتي اللغوية في مجلة (مجمع اللغة العربية بدمشق)، وكان مما نشرته فيها تخطئتي للمعجم الوسيط في تفسيره معنى (صوَّب)، وتَلَتْها مقالة أخرى رثيت فيها لحال اللغة العربية في عصورها الحديثة، فعلَّق السامرائي على ذلك في كتابه (العربية تواجه العصر) بما لم أرْتَضِه، فانتقدتُ عليه أشياء في مجلة (مجمع اللغة العربية بدمشق) عنوانها (تعليقات على انتقاد معجم الأخطاء الشائعة) (المجلد ٥٨ ج٤ السنة ١٩٨٣م). وكان ذلك من المعارك اللغوية المهذّبة، على أنَّ الذي جرى بيننا كان تراباً سقط على ذهبٍ برّاق، ثم مسحناه فعاد إلى بريقه، وقد نقضت الأيام مُبْرَمَنا، وأبلَتْ جِدَّتنا، وقرَّبتنا من الثمانين، وتدلّ رسائلنا المتبادلة الآن على ودٍّ صافٍ، وشوقٍ مُلحّ، وحنين إلى أيامٍ خَلَتْ.

إنَّ أبرز ما في تراث السامرائي الأدبي واللغوي والشعري كَثْرَتُه، وإنَّ العلاونة لجدير بالثناء الجميل لاستطاعته أن يقرأه وأن يحيط به، وأن يُسلسل الكلام فيه. وكتابه هذا نَمَطٌ فريدٌ في البحث في سيرة العالِم الذي ألَّف كتباً كثيرة، وقد عَرَض كُتُبَ السامرائي عَرْضَ الفاكِهيِّ لفاكهته، ليختار من شاء ما يشاء، ولكنّه مع ذلك خصَّ قسماً منها بنقد رفيق، وقد فاته أن ينتقد على السامرائي وشريكه المخزومي عجلتهما في تحقيق كتاب (العين)، وهي عجلة أجحفت بحق الكتاب. وكتاب العلاونة مع

ذلك متعـة أدبيـة للقارئ ودليل لـه، وهو يسـاعد من يَرومُ أنْ يؤلِّف كتابـاً في السامرائي ليحصل على درجة علمية جامعية، ثم هو وسام لشيخوخة السـامرائي، فعسـى أن يبعث في قلبه السـرور، وأن يخفف من مرض شيخوخته المزمن.

إني أتوقع أن يصبح الأديب المؤرّخ الأستاذ أحمد العلاونة علماً في علم التراجم، وفي تأليفه الكتب الأدبية. حفظه الله بركنه الذي لا يُرام، ورعاه بعينه التي لا تنام.

شفيلـد (إنكلتـرة) فـي الثـانـي مـن أيـام عيـد الأضحـى ١٤٢١هـ = ٦/ ٣/ ٢٠٠١م

قال مؤلف الكتاب أحمد العلاونة: كُتب (تقديم) الأستاذ صبحي البصام في أثناء حياة الدكتور إبراهيم السامرائي رحمه الله، فلما وصل نعيّ السامرائي إلى الأستاذ البصام بعث إليَّ بهذه السطور، راجياً إياي أن أضيفها إلى (تقديمه):

«كان نعيّ صديقي الدكتور إبراهيم السامرائي مُوجعاً لقلبي، مكدّراً لنفسي، فقد كان صديق العمر الطيِّب الخُلُق، وإنَّ مصابي به لشديد، ومما يخفّفه عنّي قول الشاعر العراقي إبراهيم أدهم الزهاوي:

قـالُـوا: ألاَ تَبكـي عَلـى مِثْلِـهِ؟ فَقُلْتُ: صُونُوا الدَّمْعَ عَنْ طَيْشِهِ
إنَّـا لفـي دَهْـرٍ وَجَـدْنَـا بِـهِ مَـوتَ الفَتـى أَفْضَـلُ مِـنْ عَيشِـهِ

لقد كان خادمَ اللغة العربية الأمين، خدمها في جدّ وإخلاص، وألَّف فيها كتباً كثيرة هي ذات نَفْعٍ جزيل، فإن عاش يهزّه الحنين إلى وطنه، فكذلك هي عيشتي، وإن مات في دار الغربة فكذلك ستكون ميتتي. وإن كنا جرينا معاً في مضمارٍ واحد نحو دار الفناء، وبلغها مجلّياً، فأنا لاحقٌ به مصلّياً.

اللهمَّ ارحم إبراهيم السامرائي، ويسّر حسابه، وكثّر ثوابه، وعوّض اللغة العربية من جليل علمه وسابغ فضله، بما يسدّ مسدّه، ويهوّن فَقْدَه، فأنتَ أكرم مسؤول، وأعظم مأمول».

شفيلد (إنكلترة) في السابع عشر من صفر ١٤٢٢هـ = ١٠/ ٥/ ٢٠٠١م

صبحي البصام

تقديم

بقلم وديع فلسطين

عزيزٌ عليَّ أن أكتب عن إبراهيم السامرائي بعدما صار خبراً من الأخبار، وبعدما انتهت رحلته في سكة الحياة، قضاها مكرّسة لخدمة العلم والأخلاق، وجدّة الحياة.

كان أول لقاء لي مع السامرائي في بيتي، إذ فوجئتُ من نحو عشرين عاماً برَهْطٍ من المجمعيين يطرق باب بيتي دون إشعارٍ سابق، وكان قُوامه الدكتور حسني سبح رئيس مجمع دمشق، والدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس مجمع دمشق، والعلاَّمة العراقي الشيخ محمد بهجة الأثري، والشيخ إبراهيم القطان قاضي القضاة في الأردن، والعلاَّمة المغربي عبد الله كنون، وإبراهيم السامرائي رحمهم الله جميعاً. وقد قصدوني لكي أدلّهم على منزل أستاذنا العلاَّمة محمود محمد شاكر، وهو جاري في الحي الذي أقيم فيه، ولكي أصاحبهم إلى هناك. وعندما التأمَ الشمل في بيت العلاَّمة شاكر، تبارى هؤلاء العلماء في خوض أحاديث في العلم والأدب، بهرتني بسعة اطّلاعهم وطول باعهم على تقاصر أياديّ، وكانت للسامرائي مشاركة ذكية في هذه الأحاديث التلقائية التي نمّت على عمق تفكيره وواسع علمه وسداد رأيه.

وأما المرة الأخيرة التي لقيت فيها إبراهيم السامرائي فكانت في

المؤتمر الأخير لمجمع القاهرة، وكنت افتقدته في الجلسة الافتتاحية، فلمّا هاتفني طالباً أن يلقاني بعدها بيومين، سعيتُ إليه خصيصاً، وفي لقائي القصير معه عاتبته لأنه وصل متأخراً ففاتته الكلمة الافتتاحية، فما كان منه إلاّ أن انفجر في غضبة عربية مضرية قائلاً: وماذا نفعل؟ لقد تلقّينا دعوة رسمية من المجمع لحضور مؤتمره، واستَصْدَرْنا تأشيرةَ دخولٍ من القنصلية المصرية، وأوفد المجمع مَنْ يستقبلنا في المطار، ومع كل هذا عوملت ـ بسبب عراقِيَّتي ـ وكأنني مجرمٌ عاتٍ، فقد توقفت إجراءات فحص جواز سفري، وأنجزت المعاملات لكلّ مَنْ سبقوني بما فيهم الإسرائيليون! وبعد ثلاث ساعات من الانتظار المُملّ المُذِلّ أُذِن لي بالدخول، حقاً إنّ وصف العرب بأنهم أشقّاء هو وصف مغاير للحقيقة، والأصح أن يُقال إنهم أشقياء! وليت هذه الصرخة المدوية الغاضبة من العالم المجمعي العراقي إبراهيم السامرائي تبلغ أسماع ذوي الشأن، عساهم يغيّرون من أساليبهم في معاملة الأشقّاء لا الأشقياء.

وعندما خاطبتُ السامرائي بلقبه السُّوربوني وهو (دكتور) رجاني أن أعفيه من استخدامه قائلاً إنه لم يعد يذكره على أغلفة مؤلّفاته، ويوقع به دراساته وبحوثه، بعدما هزل استخدام هذا اللقب على أيدي (الدكاترة) المحدثين.

وأخبرني السامرائي أنّه أعدّ للنشر ديواناً جديداً عنوانه (من ملحمة الرحيل) فقلت له: ولِمَ هذا التشاؤم؟ فقال: إنَّ الثمانين ـ وقد بُلِّغْتَها ـ هي نذير بالرحيل، وهذه هي سنّة الحياة التي ليس لها تبديل.

وعندما هاتفني الأخ العزيز الأستاذ أحمد العلاونة، لكي ينعي إليّ إبراهيم السامرائي، مع أنه كان في تمام الصحة والنشاط، أيقنت أنّ عالمنا

الجليل وقد تنبأ بقرب الرحيل، قد صفّى حسابه مع الدنيا، وأزمع السفر في الرحلة الدَّهْرِيَّة إلى عالم الأرواح.

وكم كنتُ أتمنّى أن يصدر كتاب العلاونة في حياة السامرائي وهو يعاني من الغربة عن وطنه، فيقع فيه على تقدير كريم منصف، في زمن عزَّ فيه تقدير العلماء في حياتهم.

كان من دأبي أن أقرّب المعاجم بشيء من التقديس، ولكنَّ أستاذنا السامرائي كان يقرّبها بروح العالم النَّقَّادة البصير، فيقع فيها على ما يجانف الحقيقة، ويرى في بعضها ما يحتاج إلى تقويم أو تعليق. فالمعجم - على إعجازه - هو صنعة بشرية، لا تخلو من هَنَاتِ البشر الضعاف، ومن حقّ مَنْ مَلَكَ العلم من أطرافه أن ينبّه إلى ما قع فيها من أوهام وأغاليط. ولعلّه لو شاء لما أعجزه أن يصنع لنفسه معجماً يحمل اسمه، فيه جماع حصيلته اللغوية على مدى ستين عاماً، وليس مَنْ سبقوه من صُنَّاع المعاجم الأفذاذ بأعلمَ منه، أو أكثر بصراً بالألفاظ ومعانيها واستخداماتها القديمة والجديدة، فضلاً عن مسكوكاته الخاصة من الألفاظ الشائعة القابلة للتداول الواسع.

كان السامرائي كما يتبيَّن من هذا الكتاب الكاشف للأديب المجتهد أحمد العلاونة رجل الصناعتين: صناعة التأليف وصناعة الترجمة، وهو في الميدانين حُجّة آمرة، حتى وإن اختلف معه بعض الدارسين، فليس في الأدب حصانة، ولا للأديب مناعة تحول دون تناوله بالنقد أو التصويب.

ولئن أغنانا العلاونة عن معالجة الجوانب المختلفة لحياة السامرائي الأدبية، فمازال الحديث موصولاً عن أخلاق هذا العالم الفرد من تواضع وعِفّة لسان وسَماحة نفس، ورَحَابَة صَدْر، يستقبلك بالعناق والقُبُلات

وبحرارة الصدق والمودَّات، ويلقاكَ بوجهه البشوش، وقلبه العامر بآيات الحب، ومن أفضاله وفضائله أنه أهداني قصيدة اختار لها عنوان (من ملحمة الرحيل) نشرتها مجلة (الضاد) الحلبية في عهد منشئها الشاعر عبد الله يوركي حلاق. وما كنت أحقّ الناس بالإهداء، ولكنّها المروءات الروحية التي تحلّى بها، فأوحت إليه بأن يخصّني بهذه الخريدة الفريدة. وصاحب الفضل لا يُسأل عن دوافعه وموجباته، لأنه إنما يستلهم منازع قلبه ودفقات روحه.

وكانت للسامرائي في مجمع القاهرة جولات وصولات، سجّلتها مضابطه. فهو يشارك في جميع مناقشات المجمع، ويرأس بعض جلساته، ويحييّ الأعضاء بقصائده، ويلقاهم جميعاً على شوقٍ عارمٍ، ولكأنه يدرك أن هذا اللقاء قد يكون لقاء وداع لا لقاء حفاوة واستقبال.

كان السامرائي ـ كما أشار إلى ذلك العلاونة بحق ـ من عشّاق المكتبات، يغشاها أينما حلّ، وعندما أردتُ البحث عنه في طوابق مجمع القاهرة المختلفة، قيل لي: ستجده في المكتبة، وقد كان، ولعلّه لو خُيّر بين عمل التدريس الجامعي وغيره من الوظائف لاختار أن يكون أمين مكتبة، يتنفّس بين الكتب، وتجوس أنامله بين المخطوطات، وهو القابع دائماً بين الكتب التي يسمّونها بالكتب الصفراء لتقادُم العهد بها، وبين الكتب من مستحدثات الطباعة، ومن مؤلفات المجمعيين والجامعيين والفقهاء.

ومع أن رجال العلم والأدب لا يحفلون بالسياسة كثيراً، ولا يهمهم شيء من أمرها، فإنّ السياسة ـ ودأبها الوشاية ـ لا تترك العلماء في حالهم، بل تلاحقهم بقوانينها الجائرة، وريَبِها المستطيل، حتى لا يجدون ملاذاً

إلا في الغربة بالغة من المرارة ما بلغت، وهكذا عاش السامرائي مغترباً على مدى سنواتٍ طوال، بل أنكره مجمع بلاده، في حين استقرّ استقرار انتماء في مجامع الضاد جميعاً، بل في المجمع الهندي، فهل الهنود أدرى بقيم العلماء والأصلاء من المواطنين وأبناء العشيرة؟ ولكن ما هذه المعاملة إلا بعضٌ من جناية السياسة على الأدب وأهل العلم، وهي - لحسن الحظ - جناية موقوتة، لأن الأجيال التالية لا بُدَّ أن تعرف للعلماء أقدارهم الأصيلة، ولابدَّ أن تُنْزِلَهم في تقديرنا أعلى المنازل، وبشّر السامرائي بأن أبناء جلدته لن يلبثوا أن يقيموا له تماثيل من الحبّ والتقدير لا من حجارة الصوّان، وإنّ الموازين مهما اختلّت، فهي لا تَشُول في نهاية المطاف مع الذين شمخوا على الدهر بآثارهم المنشورة وبحوثهم التي تحفظ لهم فضائل الخلود والبقاء.

وخليقٌ بي أن أثني بأعمق آيات الثناء على صنيع أحمد العلاونة بوضعه هذا الكتاب، فكان ذلك منه آية من آيات الوفاء المحمود لرجل معْطاء، بذل أكثر ممّا أخذ، ومَحضَ الضاد من غرر البيان ما لا سبيل إلى نُكْرانه، فأَكرِمْ بمَنْ احتفى بالسامرائي وأدبه وعلمه، وأَكْرِم بالمحتفى به بعدما سرت عليه نواميس المنايا.

وديع فلسطين

القاهرة في العشرين من أيار ٢٠٠١م

مقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل رسله محمد ﷺ، وصحابته وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا كتاب أخصصه للحديث في سيرة العلاّمة الدكتور إبراهيم السامرّائي ـ حفظه الله ونفع به[1] ـ وللتعريف بمؤلفاته وتحقيقاته.

فتحدثت عن ولادته ونشأته وتعلّمه وأعماله، وفصّلت الحديث في بعض شيوخه وأقرانه وتلامذته، وتحدثت فيه لغوياً ونحوياً وأديباً وشاعراً وناقداً، وأبنت عنه محقِّقاً، ومضيت للحديث عن حبه للعلم، وصفاته وأخلاقه.

وختمت الحديث عن الجحود والنكران اللذين تعرض لهما، ثم عرّفت بأكثر كتبه تأليفاً وتحقيقاً، وقد نسّقتها على حروف المعجم.

هذا وقد وشّح الكتاب وزانَه تقديمان، كتبهما اثنان من كرام العلماء: أستاذنا اللغوي العلاّمة الثَّبَت صبحي البصام، وأستاذنا الجليل الوفي، الصادق العهد، ومؤرخ الأدب وديع فلسطين حفظهما الله وأكرمهما، وقد رتّبتهما بحسب تواريخهما.

سدّد الله خطانا، وهدانا إلى سبيل الخير والرشاد.

٢٨ من شوال ١٤٢١هـ
٢٣/ ١/ ٢٠٠١م

أحمد العلاونة

(١) كان هذا الكلام قبل وفاته.

الفصل الأول

لمحات من حياته

الفَصْل الأول

لمحات من حياته

إبراهيم السامرائي عَلَمٌ من أعلام العربية المعاصرين، رضي لنفسه أن يركب المركب الخشن، فحملها على خوض ما لا يتعافاه إلا أهل الجد النَّاصبون أنفسَهم لخدمة لغتنا السمحة المعطاء، ابتغاء أن تتهيأ لها السلامة المرجُوّة، فأخذ بالفوائد النافعة التي جاد بها الفكر النيّر لعلمائنا الأقدمين، وبما أُتيح له أن يقبسه من العلم الجديد، فكان له من جماع ذلك نَهْجٌ أهدى، وثَمَرةٌ أزكى، وعائدةٌ أوفى.

طَوَّحَتْ بالسامرائي ظروفُ الحياة وقسوتُها متغرِّباً عن بلاده ـ والغريب عن أهله مجاهد مغبون ـ متنقّلاً في كثير من الأقطار العربية، غير متمكّن من الاستقرار، مع ما يتصف به من علم وفضل وخُلُق، ولم يُعطَ المكانة اللائقة التي يستحقها، وليس بِدْعاً هذا الأمر، فتلك حالة أمثاله من العلماء منذ أقدم العصور وفي كل زمان ومكان، يُلاقون من نَكَبَات الدهر وشدائده ما يزيدهم قوة لمواصلة سَيْرِهم النافع. ومهما عمّ السوء وساد الباطل، فلا بُدَّ أن يبقى للحق حيِّز صغير وحاشية ضيقة، تشير إلى أن بَريق الخير لا يخبو.

انصرف إلى العلم مُجرَّداً عن زينة الدنيا، متزيناً بقول القائل: «العلمُ زَينٌ وتشريفٌ لصاحبه».

مولده ونشأته وتعلمه:

إبراهيم بن أحمد الراشد السامرائي. ولد في مدينة العمارة عام ١٩٢٣م، وهي حاضرة من حواضر جنوبي العراق بين بغداد والبصرة، وسكانها مَزيج من مسلمين وصابئة وسريان وكِلْدان ويهود، وكان أهله قد نزحوا إليها من سامراء التي ينسب إليها.

وكانت طفولته ـ كَكُهُولته ـ بائسة، إذ توفيت أمه وهو صغير، وتوفي أبوه بعد ذلك في البصرة غريباً عام ١٩٣٤م.

تعلم في العَمارة، ودرس في دار المعلمين الابتدائية في الأعظمية شمالي بغداد، ودرَّس في المدارس الابتدائية، ثم تخرج في دار المعلمين العالية ببغداد ١٩٤٢ ـ ١٩٤٦ (وأصبحت كلية التربية)، ودرّس في كلية الملك فيصل ٤٦ ـ ٤٨، ثم فاز ببعثة علمية إلى جامعة السوربون بباريس عام ١٩٤٨م، فأمضى سنيَّ دراسته متنقلاً بين المعهد الإسلامي، ومكتبة اللغات الشرقية، والمعهد الكاثوليكي، ومعهد اللوفر، والمكتبة الوطنية، فهو قد عزم الأمر على دراسة اللغات السامية، لأن العلم في العراق في ذلك الوقت، كان مفتقراً إلى هذا النوع من الدراسات، فظفر بالدكتوراة عام ١٩٥٦م في تخصص فقه اللغة والنحو المقارن، وكان يُطلَب إلى الدارس فيها عمل رسالتين: الرسالة الكبرى الرئيسة، والرسالة الثانوية، وكان عنوان الرسالة الكبرى (الجموع في القرآن الكريم) ورسالته الثانوية تحقيق كتاب (المثل السائر) لابن الأثير، بإشراف جان كانتينو، وإشراف شَكْلي لبلاشير.

أعماله:

كانت أعماله كلها دراسية، فعمل مدرّساً في كلية الآداب والعلوم ببغداد عقب تخرجه في السوربون، وانتدب للتدريس في كلية الآداب

بتونس فأمضى فيها سنة واحدة، عاد بعدها إلى كلية الآداب ببغداد، ثم تنقّل بين بيروت، وعمّان، وبنغازي، والجزائر، والرباط، والكويت، والسودان مدرساً في جامعاتها، وكان ذلك في الأعوام ١٩٦٥ ـ ١٩٧٥م، ثم آب إلى كلية آداب جامعة بغداد حتى أحيل على التقاعد عام ١٩٨٠م، فعمل مدرساً في الجامعة الأردنيـة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٧م، فجامعة صنعاء ١٩٨٧ ـ ١٩٩٦م، وألقى عصا التَّرْحال في عمّان.

أساتذته:

١ ـ **طه الراوي** (١٣٠٧ ـ ١٣٦٥هـ = ١٨٩٠ ـ ١٩٤٦م): وهو أكبر مشايخ الأدب والنحو واللغة في وطنه العراق. ولد في (رَاوَة) وارتحل إلى بغداد لطلب العلم، فدرس علوم الدين على علمائها، وكان يتزيّا بالزّيّ الدّيني، فلما أُسقِط الحكم العثماني، وأقيم الحكم الملكي، تزيّا بالزيّ الغربي أُسوة بغيره من طالبي العمل تحت ظل الحكم الجديد، وعين مديراً لمدرسـة ابتدائية، فمدرساً بدار المعلمين، وأصبح صديقاً لكثيـر من النواب والأعيان والوزراء، فعين مديراً عاماً لوزارة المعارف، فأستاذاً بدار المعلمين العالية (أُلحقت من بعد بجامعة بغداد باسم كلية التربية).

ووَضَح أنّه أجلّ مَنْ درّس الأدب القديم والنحو وتفسير القرآن في العراق، وبلغ من فهمـه للشعر، أنّه يدرك فيه شيئاً لم يدركه الشاعر في الأصل، ذلك أن الشاعر تَحْكُمُه سليقته، فتَهْديه إلى أسرار لا يدري كيف أتَـتْه.

ولما توفي شُـيّع جثمانه تشـييعاً مهيباً، حضره رجال العلم والأدب والسياسة، ودُفن ببغداد. وكان لقامته شيء من طول وامتلاء، وكان ذا ذكاءٍ نادر، وبديهة سريعة، وتواضعٍ مقرونٍ بالاعتداد بالنفس، ووقار يلطّفه أحياناً بالمداعبة. فَقَدَ البصر من إحدى عينيه وهو شاب، ثم ضَعُفَ بصره في عينه الأخرى في أواخر عُمُره، فأصبح من عادته أن يمشي وئيداً

وفي حَذَر، وكان له مجلس في داره كلّ يوم جمعة، يؤمّه فيه عارفو فضله، فيستقبلهم في خِزَانة كُتُبه، وهي من خَزَائن الكتب الخاصّة الكبيرة المعدودة في العراق. وكان قليل العناية بالتأليف، وأخبرني أحد تلاميذه قال: «ألّف كتاباً فريداً في بابه، استوفى فيه حلقات تدريس النحو واللغة ابتداء من أول الدولة العباسية إلى آخر الدولة العثمانية، وقد رأيته عنده في داره مخطوطاً بخط جميل أنيق ولا علم لي بخبره». ومؤلفاته المطبوعة (أبو العلاء المعري في بغداد)، و(بغداد مدينة السلام)، و(تاريخ علوم اللغة العربية)، و(نظرات في اللغة والأدب).

٢ ـ مصطفى جواد (١٣٢٣ ـ ١٣٨٩هـ = ١٩٠٥ ـ ١٩٦٩م): عالم كبير في اللغة، واسع المعرفة بتاريخ الدولة العباسية والفترة المُظْلِمة، وشاعر، وعضو في المجامع اللغوية العلمية ببغداد ودمشق والقاهرة. وهو من أصل تُرْكُماني، ولد ببغداد وتعلم فيها، ودخل دار المعلمين، ودرّسه العربية فيها العلاّمة طه الراوي، فلما رأى مَيْله إلى الإصلاح اللغوي شجّعه، واشتغل معلماً بالمدارس الابتدائية، ثم أرسلته الحكومة إلى باريس للدراسة في جامعتها، ولما أتمّ رسالة تخرُّجِهِ للدكتوراه، زعمت الجامعة أنّ أُستاذه مشغول عن مناقشته فيها بسبب الحرب العالمية الثانية، وكذلك زعمت الجامعة لتلامذة غيره كالدكتور سليم النعيمي، والسبب الحقيقي على ما ذكر هو اتهامهم بالميل إلى (النَّازِيّة)، وهو مبدأ كان أكبر رجاله هتلر زعيم ألمانية، فرجع إلى العراق، وشهادة الدكتوراه معلّقة، ودرّس الأدب واللغة بدار المعلمين العالية ببغداد، وعُدّ بعد وفاة العلاّمة طه الراوي عام ١٩٤٦م المرجع الأعلى في اللغة والأدب في العراق.

وأشهر ما عُرف عنه الإصلاح اللغوي، وذلك في مباحثه (قل ولا تقل) ولا غَرْوَ في ذلك، فقد كان صاحبَ كتاب، عَرَف الكتاب القديم، وتهيّأ له من هذه المعرفة أنْ استطاع أن يَنْقُد الكتاب، فيظهر من محاسنه

وعُواره، ممّا جعله من أبرز من تصدّى للنقد اللغوي. ثم فُرّغ لتدريس الملك فيصل الثاني العربية، ولتثقيفه بالثقافة العامة. وإكراماً لتدريسه الملك ارتأى مجلس الوزراء أن ينصفه، فاجتمع سنة ٤٧ برياسة صالح جبر، وأصدر بياناً أقرّ فيه رسالة تخرّجه، ومَنَحه الدكتوراه، وصنع الصنيع نفسه لمن كان في مثل حاله، وأخذ ينشر مقالاته في مجلتي المجمعين: بغداد ودمشق، وفي كثيرٍ من المجلات والجرائد.

ثم أصبح من دَأَبِه المشاركةُ في التلفاز العراقي، في محاورة لغوية أو أدبية أو تاريخية، وجعله تجويده في ذلك محبوباً من قبل الشعب العراقي، سواءً في ذلك الخاصة والعامة، على أنه لم يخلُ من حاسدين يشنؤونه، ومُريبين يكيدونه. وأصيب سنة ١٩٦٤م بمرضٍ في قلبه، ثم ألزمه المرض داره نحو سنة ١٩٦٧م، وأُرسل إلى خارج العراق للمعالجة بنفقة الحكومة، فلم ينفعه العلاج، فلمّا عاد لزم داره، وتوفي بمرضه هذا. وكان يوم تشييع جنازته يوماً مشهوداً، وحضر التشييع فيمَنْ حضر رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر، ودُفِن بالنجف.

وكان متوسط القامة مع ميل إلى القصر، وكان سريع الحفظ، ولا ينسى ما يحفظ، وعُرف بالتواضع والهَشَاشة، وبالبَسَاطة في مَلْبُوسه ومأكوله، وأُخذ عليه تشدّده في الإصلاح اللغوي، بحيث كان يخطّئ تعابير عُرفت زمن الدولة العباسية وارتُضِيَتْ، وأيضاً أُخذ عليه أنه ربّما نبّه على غلط وهو مسبوق إليه، فيجعله وكأنّه له. وله مؤلفات وتحقيقات كثيرة.

فمن التأليف: (قل ولا تقل)، و(المباحث اللغوية في العراق)، و(دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم)، ومن التحقيق: (تكملة إكمال الإكمال في الأنساب لابن الصابوني)، و(تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي).

٣ ـ عبد العزيز الدُّوري: مؤرخ عراقي نسبته إلى (دور) وهي قرية قرب بغداد، ولد ببغداد عام ١٣٣٦هـ = ١٩١٩ م، وتعلّم فيها، وتخرّج في جامعة لندن، ومنها ظفر بالدكتوراه عام ١٩٤٢م، وعمل مدرّساً في دار المعلمين العالية ببغداد ٤٣ ـ ٤٨، فعميداً لكلية الآداب بجامعة بغداد وأستاذاً للتاريخ الإسلامي فيها ٤٨ ـ ٥٨، ثم رئيساً لجامعة بغداد ٦٣ ـ ٦٨، ثم أستاذاً في الجامعة الأردنية منذ عام ١٩٧٠. نال جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٩٨٦، وانتخب عضواً بمجامع اللغة العربية بدمشق والقاهرة وعمان، والمجمع العلمي العراقي، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بعمّان. له (نشأة علم التاريخ عند العرب)، و(الجذور التاريخية للقومية العربية)، و(النُّظُم الإسلامية) و(العصر العباسي الأول)، و(دراسات في العصور العباسية المتأخرة).

٤ ـ جان كانتينو (١٨٩٩ ـ ١٩٥٧م): مستشرق فرنسي، عُني باللهجات العربية ولا سيما لهجات بادية الشام، حيث قضى بين بَدْوِها زَمَناً طويلاً. ولد في (إينبال)، ودرس العربية في باريس، وعين أستاذاً لفقه اللغات العام واللغات السامية في كلية الآداب بالجزائر، ثم أستاذاً في مدرسة اللغات الشرقية. له: (الأنباط)، و(الأنباط والعرب)، و(سرد لكتابات تدمر)، و(لهجة عرب تدمر)، و(لهجة جنوبي الجزيرة العربية)، و(لغة عرب حوران).

٥ ـ ريجنس بلاشير (١٣١٨ ـ ١٣٩٣هـ = ١٩٠٠ ـ ١٩٧٣م) مستشرق فرنسي، ضَليعٌ في العربية، من أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، ولد في إحدى ضواحي باريس، وتلقى دروسه الثانوية في الدار البيضاء (بالمغرب) وتخرَّج في كلية الآداب بالجزائر ١٩٢٢م، وسُمّي أستاذاً في معهد الدراسات المغربية العليا في الرباط ٢٤ ـ ٣٥، وانتقل إلى باريس محاضراً في السوربون ٣٨، فمديراً لمدرسة اللغات العليا العلمية

٤٢، وأشرف على مجلة (المعرفة) الباريسية بالعربية والفرنسية.

وألف بالفرنسية كتباً كثيرة ترجم بعضها إلى العربية، وكان مخلصاً في حُبّه لها، ووفِّق إلى فَرْض تدريسها في بعض المعاهد الثانوية الفرنسية، وشارك في خدمة القضايا العربية المغربية والفلسطينية. من كتبه: (ترجمة القرآن الكريم)، و(تاريخ الأدب العربي)، و(قواعد العربية الفصحى)، و(أبو الطيب المتنبي).

أقرانه:

١ ـ صبحي البَصَّام (١٣٤١هـ ـ . . . . .هـ = ١٩٢٢ ـ . . . . .م)
أستاذنا اللغوي العلاّمة الأديب الشاعر. ولد في بعقوبا قرب بغداد، وبها نشأ وتعلم، ثم درس العربية دراسة اختصاص بدار المعلمين العالية ببغداد (٤١ ـ ٤٥) وأُعجب باثنين من أساتذته هما طه الراوي، ومصطفى جواد وكلاهما علاّمة، واستفاد منهما فوائد جليلة، ثم لزم الدكتور مصطفى جواد جاعلاً إياه أستاذاً وصديقاً، ودرس الألمانية والإنكليزية بجامعة شيكاغو سنة ١٩٥٠م.

اشتغل في التدريس والتفتيش في وزارة المعارف إلى أن أحيل على التقاعد عام ١٩٧٥ م، ثم أقام في إنكلترة، ورأى أن يجرِّد نفسه لخدمة العربية باستقراء النصوص القديمة، وأخذ ينشر مقالاته في مجلة مجمع دمشق، والمجمع العراقي، والمجمع الأردني، والبلقاء، ولفتت مقالاته الأنظار، لأنه خطّأ فيها علماء قدماء، وكان لا يخطّئ إلا وهو مستند إلى استقراء النصوص، وهي تُمْتِعُ وتُقْنِع، وهي ذات ابتكار لأنه لم يخض في المُعاد المردّد، فيأتي بالحجة البالغة والعلم الشامل. وله علم في الطب القديم، ولا يجامل على حساب العلم.

له: (الاستدراك على كتاب قل ولا تقل)، و(التبيين في فوائت

القدماء والعصريين)، و(البصّاميات) على نمط الأصمعيات والمفضليات، و(ديوان شعر صبحي البصام)، و(تجريد جامع ابن البيطار)، و(اللّباب من ألفاظ الكتّاب)، و(خصائص اللغة العامية).

٢ ـ علي جواد الطاهر (١٣٣٨ ـ ١٤١٧هـ = ١٩١٩ ـ ١٩٩٦م): أديب وناقد عراقي. ولد في الحِلّة، وتعلّم فيها، ونال إجازة العربية من دار المعلمين العالية عام ١٩٤٥م، ونال الدكتوراه من جامعة السوربون ١٩٥٤م، وتولى التدريس بدار المعلمين العالية، وجامعة بغداد، والرياض (الملك سعود)، وجامعة الكوفة، والجامعة المستنصرية.

من مؤلفاته: (الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي)، و(الطغرائي)، و(ملاحظات على وفيات الأعيان)، و(معجم المطبوعات العربية ـ السعودية)، و(فوات المحققين)، و(محمد بن سلام وكتابه طبقات الشعراء)، و(مقدمة في النقد الأدبي).

٣ ـ حسن ظاظا (١٣٣٧ ـ ١٤١٩هـ = ١٩١٩ ـ ١٩٩٩م): علاّمة باللغة العبرية واللغات السامية. ولد في القاهرة وتعلّم فيها، ونال إجازة العربية واللغات السامية من كلية آداب جامعة القاهرة، ونال الماجستير في الأدب العبري من الجامعة العبرية بالقدس، ثم نال الدكتوراه من جامعة السوربون على أطروحته (القسم عند اليهود الساميين القدماء) وكان مزاملاً للسامرائي في دراسته بالسوربون.

عُيِّن مدرِّساً بجامعة الإسكندرية، وعين شمس، ومحمد الخامس، وبيروت العربية، والموصل، وبغداد، والملك سعود. وله شعر وزجل.

من مؤلفاته: (الساميون ولغاتهم)، و(كلام العرب في اللغويات العامة والسامية)، و(أبحاث في الفكر اليهودي)، و(الصهيونية العامة وإسرائيل)بالاشتراك، و(منهج سيبويه في النحو العبري بين يهود الأندلس).

٤ ـ **علي الزّبيدي** (١٣٤٢ ـ . . . . . هـ = ١٩٢٤ ـ . . . . . م): كاتب وأديب. ولد في بغداد، ونال الدكتوراه في الآداب العربية والأدب المسرحي من جامعة السوربون عام ١٩٥٥م، وشغل عدّة مناصب، منها عمادة كلية آداب جامعة بغداد. من مؤلفاته: (زهديات أبي نواس)، و(من الأدب العباسي)، و(المسرحية العربية في العراق)، و(الشعر والفنون) بالاشتراك.

٥ ـ **صلاح خالص** (١٣٤٣ ـ ١٤٠٦هـ = ١٩٢٥ ـ ١٩٨٦م): أديب باحث. ولد بالبصرة، وتخرج في دار المعلمين العالية (١٩٤٦) ونال الدكتوراه من جامعة السوربون ١٩٥٢م، وعُيِّن مدرِّساً في كلية آداب جامعة بغداد، وأصدر مجلة (الثقافة الجديدة). من مؤلفاته: (محمد بن عمار الأندلسي)، و(إشبيلية في القرن الخامس الهجري)، و(المعتمد بن عَبَّاد الإشبيلي)، (ودور الأديب في المعركة ضد الاستعمار والرجعية)، و(طيف الخيال) للشريف المرتضى تحقيق.

٦ ـ **مهدي المَخْزُومي** (١٣٣٥ ـ ١٤١٣هـ = ١٩١٧ ـ ١٩٩٣م) من العلماء باللغة والنحو، ولد بالنجف، وعمل أستاذاً بكلية آداب جامعة بغداد، ورأس قسم اللغة العربية فيها، وله مشاركات في الحياة الأدبية ببغداد، وكان مَجْلِسُه مَجْلِسَ عِلمٍ ومُنَاظَرة. ألّف: (مدرسة الكوفة)، و(الخليل بن أحمد الفراهيدي)، و(في النحو العربي)، و(الدرس النحوي ببغداد)، وحقّق: (العين للفراهيدي) بالاشتراك مع الدكتور إبراهيم السامرائي.

٧ ـ **جميل سعيد** (١٣٣٤ ـ ١٤١١هـ = ١٩١٦ ـ ١٩٩٠م): عالم باللغة والأدب، من أعضاء مجامع اللغة العربية بدمشق والقاهرة وعمان والمجمع العلمي العراقي. ولد في (عَانَة)، وتخرج في دار المعلمين العالية ببغداد، ونال الدكتوراه من جامعة القاهرة، وعمل مدرساً بدار

المعلمين العالية، وكلية آداب جامعة بغداد، وتولّى عَمَادتها ورئاسة قسم اللغة العربية فيها، وعمل أستاذاً بجامعة الرياض (الملك سعود الآن) وجامعة العين بالإمارات العربية المتحدة، وكان حافظاً للشعر، بارعاً في الاستشهاد به. له: (تطور الخمريات في الشعر العربي)، و(دروس في البلاغة وتطورها)، و(نظرات في التيارات الأدبية الحديثة في العراق)، و(معجم لغات القبائل والأمصار) بالاشتراك مع الدكتور داود سلوم، و(خريدة القصر وجريدة العصر/ قسم العراق للعماد الأصفهاني) تحقيق بالمشاركة مع محمد بهجة الأثري، و(ديوان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات) تحقيق.

تلامذته:

١ ـ وليـد خالص (١٣٧٠ ـ . . . . . هـ = ١٩٥١ ـ . . . . . م): أديب بحّاثة. ولد ببغداد، ونشأ فيها وتعلم، وتخرج في قسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة بغداد ١٩٧٢م، وأحرز الدكتوراه منها ١٩٨١م، وعمل مدرساً بجامعة العين بالإمارات العربية المتحدة، وفي جامعة البنـات الأردنية، فجامعة السلطان قابوس في عُمان، وهو من خيرة العلماء الذين عرفتهم علماً وخُلُقاً. ألّف (أبو العلاء المعري ناقداً)، و(المباحث النقدية في أمالي المرتضى)، و(النقد الأدبي في كتاب الأغاني)، وحقّق (نقائض جريـر والفرزدق لأبي عبيدة) بالاشتراك، و(فضل العرب والتنبيه على علومها) لابن قتيبة، و(ديوان محمد بن أحمد البحراني).

٢ ـ هاشم الطَّعَّان (١٣٥٠ ـ ١٤٠٢هـ = ١٩٣١ ـ ١٩٨١م): لغوي أديب. له شعر. ولد بالموصل، ودرس فيها وفي جامعة بغداد، وعين مدرّساً للعربية بالمدارس الثانوية، وكان اضطر إلى مُجاراة المَدِّ الشيوعي نحو سنة ١٩٦٠، ثم فُصل من وظيفته من جَرَّاء ذلك، فدرّس بمدارس أهلية ببغداد، وعانى مصاعب مالية كبيرة، ثم رُدّ إلى التدريس في المدارس

الحكومية، ونال الدكتوراه من جامعة بغداد، وكان يؤمل أن يدرّس في الجامعة نفسها أُسْوَةً بغيره، وكانوا أقل علماً منه، إلا أنّه بقي في المدارس الثانوية لكراهية الحكومة له، وكان له عناية باللغة وتمكن من العربية. له: (تأثير العربية باللغات اليمنية)، و(الأدب العربي بين لهجات القبائل واللغة الموحدة)، و(لحظات قلقة) و(غداً نحصد) ديوانا شعره، و(شعر عمرو بن معد يكرب) جمع تحقيق. و(شعر الحارث بن حلزة) كسابقه.

٣ـ محمد ضاري الحَمَّادي (١٣٦٢ـ . . . . . هـ=١٩٤٣ـ . . . . . م): لغوي باحث. ولد في بغداد، وتعلم فيها، وتخرّج في قسم اللغة العربية بكلية آداب الجامعة المستنصرية ببغداد عام ١٩٧٠م، وفاز بالدكتوراه من جامعة بغداد عام ١٩٧٨م، وعمل مدرساً فيها، واختير عضواً في المجمع العلمي العراقي عام ١٩٩٦م. من مؤلفاته: (الحديث النبوي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية)، و(حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث).

٤ ـ حاتم الضامن (١٣٥٧ ـ . . . . . هـ = ١٩٣٨ ـ . . . . . م): محقق غزير التحقيق، ولد ببغداد، وتعلم فيها، وتخرج في كلية آداب جامعتها، واشتغل بالتدريس، ونال الدكتوراه من جامعة بغداد، وعين مدرساً فيها، ثم رئيساً لقسم اللغة العربية فيها. ألّف: (فقه اللغة)، و(بحوث ودراسات في اللغة وتحقيق النصوص)، و(عشرة شعراء مُقِلُّون)، وحقق (مشكل إعراب القرآن لمكي القيسي)، و(فرائد القلائد)، و(الزاهر في معاني كلمات الناس) كلاهما للأنباري، و(إصلاح غلط المحدثين للخطابي) و(الناسخ والمنسوخ للزهري)، و(الأزمنة للقطرب).

٥ ـ طالب عبد الرحمن التكريتي (١٣٦٧ ـ . . . . . هـ = ١٩٤٩ ـ . . . . . م): ولد ببغداد، وبها نشأ وتعلم، وتخرج في قسم اللغة العربية بكلية آداب جامعة بغداد وفاز بالدكتوراه من جامعة (سانت أندروز)

بإسكتلندة، وعمل بالتدريس في جامعة الموصل وجامعة صنعاء. له: (يونس بن حبيب)، و(الكتابة العربية)، و(شرح ألفية ابن مالك للمرادي) تحقيق ودراسة.

ومنهم من العراقيين أيضاً: الدكتور عدنان العوادي، والدكتور حاكم مالك الزيادي، والدكتور عبد الوهاب العدواني، والدكتور أكرم عثمان يوسف، والدكتور علي الياسري، والدكتور غالب المطّلبي، والدكتور محمد جبار المعيبد، والدكتور زاهد محمد زهدي.

ومن الأردنيين: الدكتور عودة أبو عودة، وإبراهيم العجلوني، والدكتور عبد الحميد الفلاح العبادي، والدكتور سمير قطامي، والدكتور إبراهيم خليل، والدكتور محمد إبراهيم حُوَّر، والدكتور يوسف بكار، والدكتور عبد الجليل عبد المهدي.

السامرائي لغوياً:

اشتهر السامرائي لغوياً ومُعْجَمياً، يؤمن بتطور اللغة وانتقالها من حال إلى حال، وبأنها لا تزال مجال دَرْسٍ وبحث، وكانت له وِقْفات طويلة مع المعجمات، فدرس قديمها، وتعرف على حديثها، فكان مدقّقاً ومصحّحاً، ومُضيفاً إضافات فيها تَمَام الفائدة، ومُسهماً إسهامات جَمَّة تصبُّ في خدمة العربية، فكان له في هذا المضمار كتب كثيرة منها: (دراسات في اللغة)، و(مباحث لغوية)، و(التطور اللغوي التاريخي)، و(التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق)، و(في الصناعة المعجمية)، و(معجميات)، و(الدخيل في الفارسية والعربية والتركية)، و(المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام)، و(معجم الفرائد) و(معجم ودراسة في العربية المعاصرة) و(نظرات في المعجم الكبير) بالاشتراك مع الشيخ حمد الجاسر، وكتاب (العين) المنسوب للفراهيدي. تحقيق بالاشتراك مع الدكتور مهدي المخزومي، إضافة إلى مقالات كثيرة منشورة في المجلات.

وأشار في دراساته إلى سعة العربية وحيويتها وقدرتها على التكيف مع المتطور الجديد، وقد أشار إلى قضية طالما ألحَّ عليها في كتبه وهي أنه «ليس من العلم أن يشمخ العرب في عصرنا عن كل ما هو غير فصيح، ألا ترى أن هذا الذي دعي غير فصيح في مطلع هذا القرن مما أسموه لغة جرائد أو الأغلاط الشائعة قد تحول إلى عربية جديدة معاصرة».

فكأنَّه ينبّه إلى أن مفهوم الفصاحة القديم الذي قدمته كتب اللغة والبلاغة محتاج إلى إعادة نَظَر، وتقديم بديل عن فصاحة جديدة لا تَنْسى الأصل من جهة، ولا تبقى حبيسة بين جدرانه من جهة أخرى، بل تقيم عليه بناءً متماسكاً يفي بأغراض هذا العصر، وإيقاعه السريع المتدفق، وهذا شأن كل جديد غايته البناء المتين والصرح المتماسك.

وإذا كان اللغويون الأقدمون يرون أن عصور الاحتجاج قد انتهت بأوائل العصر الأموي فإن العربية ـ في نظر السامرائي ـ بَقِيَت سليمة في استعمال الشعراء والكتّاب والخطباء، وسائر الفصحاء البلغاء، وعلى ذلك رأى صحة الاستشهاد بالعصور التي تلت العصر الأموي، ومن هذا الباب عمل على تأليف كتابه: (التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية)، فهو يدعو إلى تجديد متن اللغة، وإثرائها بألفاظ مستحدثة، تعبّر عن حضارة العصر بآدابه وعلومه، وفنونه ومخترعاته التي تجدّ يوماً بعد يوم، ما دامت هذه الألفاظ المستحدثة لا تخرج عن سَنَن العربية وضوابطها.

فالطعن في قيمة كلمة بحجة أنّها لم تذكر في المعاجم أو أن العرب لم تستعملها فيه، تَحْجيرُ واسع وتجميدٌ للغة من حيث يراد لها النموّ والثبات، ولا بأس ـ في نظره ـ إذا تركنا لفظة عربية إلى أخرى مولَّدة إذا كانت الأخيرة أسهل وأخف وأعذَب.

ولنا في العرب أنفسهم أسوة حين تركوا كثيراً من كلماتهم إلى أخرى أعجمية.

ومن باب عنايته بالمعاجم، عَمَد إلى تصنيف معاجم فريدة في موضوعاتها وهي: (معجم الفرائد)، و(الدخيل في الفارسية والعربية والتركية)، و(المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام)، و(معجم اللغة العربية المعاصرة)، كما عمد إلى صنع معاجم لغوية لكبار الكتاب والخطباء والشعراء كعلي بن أبي طالب، والجاحظ، وابن المقفع، والمتنبي، وأراد بهذا النهج اللغوي، الوقوف على طائفة من الألفاظ التي كان فيها للأديب شاعراً كان أم كاتباً استعمالٌ خاص، كأن يكون قد اتَّسع فيها أو أخطأ في ذلك فأدى ذلك الخطأ إلى سيرورة معنىً جديد، وقد يكون شيء آخر تتصف به الكلمة، هو أنها دخيلة أعجمية لم يُشِرْ إليها اللغويون، أو أنها من أصول ساميَّة، فكان لها في العربية مقام خاص، وقد تكون الكلمة جديدة ولّدها الكاتب أو الشاعر ولم ترد في المعجمات، وقد تكون فصيحة في عصرها، ولكننا نفتقدها في العربية المعاصرة في حين أنها معروفة في الألسن الدارجة.

ولا بد أن نشير إلى دراساته المقارنة للعربية بغيرها من الساميات خصوصاً السريانية والعبرية.

السامرائي نحْوياً:

السامرائي من كبار نُحاة عَصْره، والنحو عند السامرائي متطوّر بتطوّر اللغة نفسها، شأنُه في ذلك شأن اللغة الحيّة التي تتغير وتتطور بتطور العصر، ولا يعجز عن مجاراة ما يستجد، فقد وقف السامرائي طويلاً أمام أقوال نحاتنا الأوائل، وأنعم النظر فيما قرروه من معايير اللغة وضوابطها، فكان موقفُه موقفَ الباحث الجاد، والدارس المُنْصِف في كثير من القضايا النحوية، التي رأى فيها أوجُهاً غير ما رآه نُحاتنا الأكارم. مستعيناً بما أمدَّتْه

ثقافته المتنوعة من علم جَم، واطلاع واسع على اللغة العربية وصنوفها، إضافة إلى اللغات السامية التي كانت له معيناً ينهل منه ما يَشْكل على اللغة من قضايا نحوية، فكانت له مؤلفات مختصة بالنحو وأبوابه.

وتناول قضايا النحو وما عسر منها على نحاتنا الأوائل الذين وجّهوا النصوص وحمّلوها غير ما تحتمل، ملتجئين إلى التقدير والتعليل والتأويل، وكل ذلك تأتّى لهم من شدّة تعلُّقهم بمسألة العامل والمعمول وتمسُّكهم بها، وهي المسألة التي فرضت على نُحاتنا الكرام تفسير نصوص العربية جميعها، لأنهم وجدوا أنفسهم أمام نصوص وتراكيب فصيحة، فكان لابد من التفسير وإن شابَه ما يبعده عن طبيعة اللغة وحقيقتها، وهي المسألة التي يطالب السامرائي بإبطالها وإلغائها والاعتماد على وصف اللغة وقضاياها دون الحاجة إلى تزيُّدٍ وتكلُّفٍ في التحليل.

وكان لاتّساع ثقافة السامرائي واطّلاعه الشامل المتخصص على موادّ النحو العربي مَوْروثِه ومُوَلّده أثر في تكوين منهج السامرائي في تناول مواد النحو وتحليلها، وهذا المنهج قام على تَمَازُج منهجين أحدهما مكمِّل للآخر، فالمنهج الوصفي هو المنهج الرئيس الذي يتّبعه السامرائي في التحليل اللغوي، وهو المنهج الذي يقوم على وصف الظاهرة على واقعها، دون اللجوء إلى تقدير وتأويل ليستقيم تخريج الظاهرة على وجهٍ من الوجوه.

والمنهج الآخر هو المنهج التطوري التاريخي المقارن، وهو الذي يقوم على ربط الظاهرة اللغوية آنياً وزمانياً، تَبَعاً لبيئتها وموطنها، وعلاقة هذه الظاهرة بغيرها من الظواهر اللغوية.

والسامرائي أثبت جديداً في نشأة النحو، خَالَفَ به جَمْهَرة الدارسين في النحو الذين قالوا: إنّ النحو وضع بسبب اللَّحْن، ورأى أنّ النحو نشأ بسببٍ من الدرس القرآني، فكما ولّدت العناية بالقرآن طائفة من العلوم

العربية والإسلامية، كذلك جاء علم النحو من هذه العلوم، وانظر التعريف بكتابه من أساليب القرآن، وكتاب (الفعل زمانه وأبنيته).

السامرائي أديباً وشاعراً:

يتمثل أدبه في كتبه كلها، فأسلوبه في كتاباته العلمية أسلوب الأدباء المجيدين، تجود به قريحة صافية، أما أدبه الخالص فيتمثل في كتبه (حديث السنين) (في مجلس أبي الطيب المتنبي) (لفيف وأشتات) (من حديث أبي الندى).

أما الشعر وهو المجال الذي حلّق فيه عالياً فقلّ من يعرف عنه ذلك، وهو في شعره يوضع بين كبار شعراء عصره، وهو كما وصف: شاعر العلماء وعالم الشعراء. وشعره كثير جيد، له موسيقى وعذوبة، وينحو فيه منحى القدماء. وقد شاع أن العالم إذا نظم شعراً فقد سلك مسلك التكلّف والافتعال، وهذا الكلام حق في أكثر أحواله، ولكنه لا يمنع أن يوجد من الموهوبين من يبرز في الناحيتين على نحو يعجب ويطرب كالسامرائي، والزركلي، والأثري، ومحمود محمد شاكر، وصبحي البصام.

ولن أطيل الحديث عن شعره فقد تحدثت فيه خلال عرضي لديوانه وقبل ذلك أحب أن أشير إلى أن الموضوعات التي تناولها في شعره: الشكوى من غدر الزمان، وانحراف الزملاء، وهجر الأصدقاء، وقسوة الغربة، والتغنّي بالعربية، والأحداث التي عصفت بالبلاد العربية والإسلامية كمِحْنَة العراق في حرب الخليج وبعدها، والانتفاضة في فلسطين، والحرب في البوسنة والهرسك، ومؤتمر السلام، وقد أبان عن ذلك في قصيدته: (قوافٍ أبت إلا . . .) ص٤٨٥ التي قال فيها:

قوافٍ أبتْ إلا مُطارَحَة الأسَى   ويُسعِدُها فيه رفيفُ المطالع

وهو مع ذلك لا ينسى أن يقول الشعر في إخوانه الذين خفّفوا عنه قسوة الغربة، وضَنَك العيش أمثال حمد الجاسر ص٣٥١، وأكرم زعيتر ص٣٣٤، والدكتور عبد الكريم خليفة ص٣٣١، والدكتور محمود إبراهيم ص٣٣٧، وعبد الله بن خميس ص٧٢١، ومحمد الصماري ص٥٠١، وإبراهيم مذكور ص٢٨٨، وصلاح خالص ص٣٠٦.

وانظر ما كتبته في التعريف بديوانه.

السامرائي ناقداً:

للسامرائي عشرات المقالات في نقد الكتب وبيان عُوار مؤلّفيها ومحقّقيها، وهو لم يلجأ إلى التلميح فيها أو المُوَاربة، شأنَ مَنْ يأخذ الحَيْطَة لنفسه، ولكنّه التزم بالصراحة كل الصراحة في إقرار ما يظنّ أنّه الصحيح.

وقُلْ مثل ذلك في المجالس أو المحاضرات، وأذكر أنّه في محاضرة لأحد كبار اللغويين والأدباء في الوطن العربي تطرّق للشاعر المُثَقِّب العَبْدي، ولَفَظَ اسمه بتشديد القاف وفتحها، وبعد انتهائه من محاضرته علّق السامرائي على المحاضرة مبيّناً صحّة اسمه بتشديد القاف وكَسْرها، ومن أجل ذلك كَثُر خُصُومه وحَقَدوا عليه، وأساؤوا إليه، وهذه صفة أغلب المؤلفين والمحققين الذين يضيقون ذَرْعاً بالنقد، ولو أن السامرائي كتب نقده بكلام رقيق، لَخَفّ وَقْعُه على مؤلفه أو محققه.

وقد جمع السامرائي شيئاً من مقالاته في النقد في كتبه: (مع المصادر في اللغة والأدب) (رحلة في المعجم التاريخي) (في الصناعة المعجمية).

السامرائي محققاً:

حقق السامرائي منفرداً ومشتركاً نحو ثلاثين كتاباً، وقد كسَّرتُ تحقيقاته على أربعة أقسام.

الأول: تحقيقات حُقّقت لأول مرة ـ فيما أعلم ـ ككتاب (المقترح في المصطلح)، و(رحلة ابن عابد الفارسي)، و(كشف النقاب عن الأسماء والألقاب)، و(كتاب العين) أجزاء منه، و(فلك القاموس) و(خلق الإنسان).

الثاني: كتب حُقّقت من قبل. خاصة ما طُبع في أوروبة قديماً من عشرات السنين، ورأى أن محقّقيها لم يبذلوا الجهد في التحقيق، أو أن السامرائي وجد مخطوطات لم يرجع إليها المحققون ـ كمعظم تحقيقات المعاصرين ـ فعَمَد السامرائي إلى إعادة تحقيقها، كالذي تراه في كتاب (الأمكنة والمياه والجبال)، و(الزهرة)، و(النخل)، و(المرصع).

الثالث: كتب حقَّقها ولم تُغنِ عن الطبعات التي قبلها كتحقيقه لديوان أبي فراس الحمداني.

الرابع: كتاب حققه دون الرجوع إلى مخطوط كديوان ابن الفارض.

ولقد كان من أشدِّ ما رُمي به السامرائي في ميدان تحقيق النصوص أنه أعاد طبعات سابقة عليه، ممَّا أخرجته مطابع أوروبة، وأنه لم يَعْبَأ بجَمْع مخطوطات الكتاب الذي ينشره وهذا حق، وإنا نعرف أن الإخلال بجمع مخطوطات الكتاب لا يُقبل في علم تحقيق النصوص، ولكن هذا الإخلال لا ينبغي أن يطمس تاريخ الرجل ويَمْحُوَه مَحْواً، وجمع النسخ المخطوطة للكتاب ـ مع الإقرار بأهميته وضرورته ـ ليس وحده تحقيق النصوص، فإنا نرى في هذه الأيام من المحققين مَنْ يحشد خمس نسخ للكتاب أو ستاً، ويشغل حيّزاً كبيراً من حواشي الكتاب بما دقَّ وجلَّ من فروق هذه النسخ ثم يلتوي عليه النصُّ في بعض المواضع، ويخفى عليه مكان الصواب منه، فلا يُحس ذلك ولا يفطن له، ويترك قارئه يتخبّط في رموز النسخ، وفروقها الناجمة عن جهل النُّسَّاخ أو غفلتهم(١).

---

(١) هذا من كلام الدكتور محمود الطناحي رحمه الله في الشيخ محمد محيي الدين=

ومنهجه العام في التحقيق التقليل من التطويل بالحواشي التي قد تطوّح بالمحقق والقارئ، في بَيْداوات المُنْبَتّ، الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

وقد تكلمت عن منهجه في التحقيق في الكتب التي حققها وعرّفت بها في كتابي هذا.

ويحسن هنا أن أورد ملحوظات على كتبه التي ألّفها لارتباطها بقدر ما بهذا الفصل، ألا وهي تكرار بعض الفصول في كتبه ففصل: (تعابير أوروبية في العربية الحديثة) ذكر في ستة كتب هي: (تنمية اللغة العربية)، و(العربية تواجه العصر)، و(معجميات)، و(التطور اللغوي التاريخي)، و(المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام)، و(معجم ودراسة في العربية المعاصرة).

وفصل: (تحقيق لغوي في الصيغ والاستعمالات) ذكر في كتابه (التطور اللغوي التاريخي)، و(العربية تاريخ وتطور).

وفصل: (الجديد في اللغة والمعجم العربي الحديث) ذكر في خمسة كتب هي: (التطور اللغوي التاريخي)، و(العربية تاريخ وتطور)، و(العربية تواجه العصر)، و(مباحث لغوية)، و(تنمية اللغة العربية).

ولا شك أن هذا مأخَذٌ عليه، وعندما سألته عن ذلك أجاب بأن المناسبة اقتضت ذلك، وإن جاز أن نلتمس له عذراً، قلنا إنه فعل ذلك تعميماً للفائدة، ولعل من المناسب أن أذكر هنا أن المؤلفين من ذوي المصنفات الكثيرة لا يخلون من هذا التكرار إن تحتّمتْ دواعيه، كابن هشام في كتبه (شرح قطر الندى) و(شرح شذور الذهب) و(أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وإن كان في بعضها زيادة واختلاف.

= عبد الحميد. انظر: مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ص٧١.

وكذلك الغزالي وابن القيم والسيوطي، فبعض ما هو موجود في كتاب السيوطي (حسن المحاضرة) موجود في (تاريخ الخلفاء).

ويقول الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه (النهضة الإسلامية) ٥/ ٢٢٨ـ٢٢٩ : «هذا وظهور المطبعة في العصر الأخير يمنع المؤلفَ من التكرار، ويراه ضرباً من اللغو، ولكنه فيما قبل عصر المطبعة كان مدعاة ضرورة يراها المصنف ذات أسباب، لأن انتشار الكتاب يجول في نطاق محدود، وفي القراء من لا يستطيع العثور عليه مخطوطاً، فإذا لجأ المؤلف إلى تكرار بعض الفصول أو المعاني في كتاب آخر فهو معذور».

رأيه في التصحيح اللغوي:

انتهى فيه إلى أنّ التصحيح مسألة عسيرة، وليس لنا أن نُهْرَع إلى القول بالخطأ قبل أن يكون لنا استقراء وافٍ شافٍ.

ذلك أنه من العسير أن يحيط المرء بما قالته العرب وما لم تقله، وبيَّن السامرائي أن منهج أهل التصحيح أغراهم ـ خاصة المعاصرين ـ فمضوا فيه حتى دَفَعَهم إلى تخيّل الخطأ وتصوُّره، والتشبُّث بالضعيف النادر القليل، واتخاذه مادّة يُفنون بها كتبهم. وفات هؤلاء أن الكثير ممّا يُشدّد النكير عليه ينبغي أن يُنظر إليه على أنه لغة جديدة أو عربية معاصرة، وليس خطأً، وعلينا أن نفرغ إلى القول بتطوّر الدلالة، ولا نقول إنه خطأ، وهو شيء يعرض لكثير من اللغات. ومن الأمثلة التي ضربها مثلاً: (المجاملة، التَّحفُّظ، امتياز وممتاز، التراث).

وأشار السامرائي إلى أن العربية لغة سَمْحَة تتحرى الخِفَّة، وبِسَببٍ من ذلك قالوا: (الفارقي) في النسبة إلى (ميّافارقين) من أشهر مدن دياربكر، وإليها نُسب غير واحد من مشاهير الرجال، وقالوا: (القالي) في النسبة إلى (قاليقلا) من دياربكر، وإليها نُسب أبو علي إسماعيل بن القاسم

صاحب (الأمالي) وقالوا: (النصيبي) في النسبة إلى (نصيبين) من مدن الجزيرة. وفي هذه النسبة يبدو التماس الخِفَّة واضحاً، فقد اجتزأوا من الاسم ببعضه، وطرحوا شيئاً منه اجتناباً للطول المفرط. وقالوا: (الدارقطني) والنسبة إلى (دار القطن) وبهذه النسبة عرف الدارقطني صاحب السُّنن. وقالوا: (الحَصْكَفي) والنسبة إلى (حصن كيفا) من قرى حصن في دياربكر.

وضرب السامرائي مثلاً الدكتور العلامة مصطفى جواد وهو خير مَن كتب في التصحيح اللغوي، الذي أظهر تصحيحاته بكتاب (قل ولا تقل) وأتى بفوائد جَمّة، غير أنه لم يسلم من التسرُّع، فقد استدرك عليه الأستاذ صبحي البصام مسائل مفيدة في كتابه الاستدراك على كتاب (قل ولا تقل) أشار فيه إلى صواب ما ذهب إليه مصطفى جواد أنه خطأ.

حبه للعلم:

قضى السامرائي أيامه بين الكتب قارئاً، وكاتباً، ومؤلفاً، ومحققاً، ومدرساً، ومترجماً، استغرقه هوى الكتاب، فانصرف إليه بكل هَمِّهِ وعِشْقِه، فاكتفى به عن كل ما يشغل الناس من فُضُول العيش، وجواذب النفس، فكان الكتاب هواه الأول والأخير، ومع أنّه الآن في الثمانين من عمره إلا أنه يذهب يومياً إلى خزانة كتب مجمع اللغة العربية الأردني يقرأ ويكتب، ويندر أن تجد أحداً سواه فيها، وإن تعجب فعَجَبٌ ألاّ ترى (دكاترة) الجامعات يترددون إلى خزائن كتب جامعاتهم، فأنا كثير الترداد على خزانة كتب جامعة اليرموك والجامعة الأردنية، ولم أجد أحداً من المدرّسين فيها سوى نُدْرة منهم، وذلك من أسباب توالي الصيحات عن تدنّي مستوى التدريس الجامعي ومن قبله المدرسي.

وتقديراً لعلمه وفضله، انتخب عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٩٠م، ومجمع اللغة العربية الأردني، ومجمع اللغة العربية بدمشق،

والمجمع العلمي الهندي، وإن تعجب فعجب ألاّ ينتخب عضواً بالمجمع العلمي العراقي!.

وتقديراً لعلمه أيضاً اختير ضمن نخبة من العلماء، للإشراف على تحقيق كتاب تاج العروس ومراجعة تحقيقه، الذي اضطلعت وزارة الإعلام الكويتية بنشره في حُلَّة جديدة ضافية وهم: إبراهيم السامرائي، وجميل سعيد، وحمد الجاسر، وسعيد الأفغاني، وشاكر الفحام، وعبد الله العلايلي، ومحمد بهجة الأثري، ومحمد رضا الشبيبي، ومحمود محمد شاكر، وناصر الدين الأسد، ثم أُوكِل الإشراف إلى الأستاذ عبد الستار أحمد فرَّاج.

صفاته وأخلاقه:

السامرائي متوسّط الطُّول، فيه شيء من نَحَافة، وهو دَمِثُ الأخلاق، كريمٌ مِضياف، كريمٌ في توزيع مؤلفاته على طلبة العلم والجامعات، بَرٌّ بإخوانه وأصدقائه، وهو كظيم غَيْظ ورَحيب صَدْر، لطيفٌ شفّاف، إلا إذا مُست كرامته فهو كالرعد القاصف المَوّار، بل يبلغ به المدى أكثر من ذلك، ففي عام ١٩٨٠م شعر أنّ بقاءه في كلية آداب جامعة بغداد أمرٌ عسير، ذلك أن الكلية قد تحكّم فيها غير أهل العلم، كان العميد ذلك الذي استطال فيها وعلا وتجبّر لمكانه في الحكم، وأنّه أحاط نفسه بأعوانه فتقوّى بخَيْله ورَجِله، فما كان من السامرائي إلا أن تقدم باستقالته.

وبعد أن أقام مدرساً في الجامعة الأردنية خمس سنوات ٨٢ ـ ٨٧م سمع أن أولي الأمر في الجامعة تحدَّثوا في التَّقَشُّف، وأنّهم ينظرون في هذا إلى التخفُّف من المسنّين الوافدين، فما كان منه إلا أن خفّف عنهم قبل أن يتخفّفوا منه، مع أن رئيس قسم اللغة العربية قد جاءه وآخرون غيره وقالوا: لم تكن مقصوداً فيما كان لدى أولي الأمر بشأن الوافدين، ولكنه أمضى الاستقالة، وقَصَد صنعاء مدرساً في جامعتها منشداً:

لابُـدَّ من صنعا وإن طال السـفر   وإن تحنَّـى العَـوْدُ فيهـا وَدَبِـرْ

والسامرائي عفيفُ النفس أبيُّها، فبعد عودته من صنعاء إلى عمان عام ١٩٩٦م أقام فيها بلا عمل، وبعد إلحاح من تلاميذه في الجامعة الأردنية، درّس طلبة الدراسات العليا، ثم إنه سمع أنّ أحد مدرّسي قسم اللغة العربية قال: إن السامرائي جاء ليقاسمنا لقمة العيش، فترك التدريس ونظم قصيدة «في لقمة العيش» مطلعها:

لا لـن تنـالَ فـأنـت مُغْتَـرِبُ   عـافٍ بطـيءُ الخَطْـوِ مُحْتَسِـب

وأذكر أن الدكتور شوقي ضيف قال للسامرائي مرة: إنّه في كل عام تفتتح جامعة أهلية في الأردن، فلماذا لا تتقدم إليها بطلب للتدريس، فقال السامرائي: أنا لا أتقدم، إن رغبوا فليأتوا إليّ. ولا شك أن هذه صفات العلماء الكرام فأين من يفعل مثل هذا الآن؟ فإننا نرى عبيد الدراهم ممن ينتسبون إلى العلم والدين، تهافتوا على المال والمناصب في دناءة وَوَضَاعة كلبيتين، راكبين إليها الكذب والنفاق وسوء الائتمان، وغشّ الناس وتدنيس العلم.

ونجد السامرائي ينشر كتبه، ولا يأخذ على بعضها أجراً لسوء خلق الناشرين، وهو لا يدخل معركة معهم لأنه يعرف النتيجة سلفاً، وترك من سرق كتبه وصوّرها في بيروت، وبذلك ضاع حقٌّ، وسُرق كدٌّ مضنٍ، كابد فيه ما كابد.

وهو يأبى أن يتقدم بطلب لبيع كتبه إلى الجامعات وخزائن الكتب، كما يفعل بعض المؤلفين، لأن ذلك في نظره دَنَاءةٌ وحَقَارةٌ.

هل أعطي المكانة اللائقة به؟

يأتيك الجواب سريعاً لا، فلا العراق ـ وهو بلده ـ قد كرّمه واحتفى

به، وأنزله منزلته، بل لم يُنتخب عضواً في المجمع العلمي العراقي مع أنه عضو في مجامع اللغة العربية في القاهرة، وعمان، ودمشق، والمجمع العلمي الهندي.

أما في الأردن فلم يكن أسعدَ حالاً مما كان عليه في العراق، وأسرد (حكاية التصريح بالعمل) لتكون دالة على ماعاناه، فبعد قدومه إلى الأردن من اليمن أواخر عام ١٩٩٦م ليقيم فيه إقامته الثانية، كان عليه أن يطلب الإقامة، وقد أعطي ست ساعات محاضرات في كلية الآداب بالجامعة الأردنية، فطلب من القائمين عليها الحصول على كتاب من الجامعة يستظهر به للحصول على الإقامة، ولكن الجامعة أبَتْ عليه هذا الشيء وقيل له: إن الجامعة لا تلتزم بشيء مع المحاضر، ثم ذهب إلى مجمع اللغة العربية الأردني، وطلب أن يُزوَّد بكتاب ينص فيه على أنه (عضو مؤازر) في المجمع فكان له هذا، وذهب بكتابه هذا إلى وزارة الداخلية ليُمنح حقّ الإقامة، فوافق الوزير على منحه حق الإقامة ـ وكان أحد أعضاء قسم التاريخ بالجامعة الأردنية ـ وأشار على الموظف المسؤول أن يكتب إلى شعبة الأجانب بهذا، وحرّر هذا المسؤول (الكتاب) وكان فيه:

«يمنح فلان هو وزوجه وولده الإقامة في الأردن، لأنه بمهنة عضو في مجمع اللغة العربية» وذهب السامرائي بهذا الكتاب فرحاً إلى شعبة الأجانب، وتم كل شيء، ثم أخبره ضابط الأمن في مركز الأمن بالشميساني أن يأتي بعد يومين ليتسلم بطاقة الإقامة، فلما جاء، أخبره الضابط أن المسؤول الكبير في الأمن رأى في كتاب وزارة الداخلية عبارة (مهنة عضو) فاعترض وقال: إن أمر المهنة يخص وزارة العمل، فأُحبط مسعاه، فكان عليه أن يبدأ العمل ثانية فالتمس من صديق صاحب مكتب هندسي أن يزوّده بورقة، يقول فيها: إنه يعمل في مكتبه ففعل هذا، وذهب السامرائي بورقته هذه إلى وزارة العمل ودفع (المعلوم) وهو (١٢٢) ديناراً، فحرّرت له بطاقة صغيرة فيها صورته الشمسية هي (التصريح بالعمل) كما يفعل سائر

من يعمل من العمّال وغيرهم في المرافق كافة، فقال قصيدة (مع التصريح بالعمل) ومطلعها:

أتظنُّها إشراقةَ الأملِ: أن نِلتَ تصريحاً إلى عَمَلِ؟

ومنها:

هبْكَ استعنتَ به فهل عَمَلٌ تبغيه غيرَ مُبَغَّضٍ وَكِلِ؟
أو حُزْتَ (تصريحاً) تروم به دفعَ التي ترميك في الحِيَلِ؟
وشَريْتَ ودفَعْتَ منك به ثمناً يجزُّ مروءةَ الرجلِ
يا ويل من يشقى بلا وطنٍ بل ويْلَه يسعى إلى بدلِ
وصبرتُ لا أبدي أسىً مَرَنَتْ نفسي على ما كان من زللِ
وحَمَلتُ نفسي غير محملها وأبيتُ أن تطغى على عجلِ
إن مَرَّ فيك اليوم تضمده جرحاً يُخَبِّئ خامدَ العِلَلِ
فلك الذي يأتي بقاصمة ما أنت تُبصرُها بمُقْتَبَلِ
وتوخَّ نفسك في كرامتها ولك الذي ينجيك في الجدلِ
ما دام بين يديك تقرؤه سوَراً غَنيتَ بها عن الفَسِلِ
لك في كتاب الله مُتَّسَعٌ ولأنت في جدٍّ وفي عملِ
فلقد وقفتَ على فرائده من كلِّ مُنْتَخَلٍ ومُبْتَهَلِ
قد ساءني أني فقدت أخي فلقيتني في تيه مُرتحلِ

عاش حياته غير متحيز إلى فئة أو منتصر بجماعة، صلباً عنيداً، شديد الإحساس بكرامة العالم، زاهداً في الدنيا، وزاهداً في الألقاب والمناصب، صريحاً، ولم يحتمل الناس صراحته، وكان ما كان من إقصائه عن محافل الأدب وبريق الجوائز.

* * *

الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته

الفصل الثاني

تعريف بمؤلفاته

مسرد المؤلفات

١ ـ الأب أنستاس ماري الكرملي وآراؤه اللغوية .

٢ ـ الإبداع والمحاكاة في حكاية كتاب العين .

٣ ـ الإسلام والعربية (قيد الطبع بدار القلم) .

٤ ـ أشتات في اللغة والأدب .

٥ ـ الأعلام العربية .

٦ ـ إعلام الورى فيما نسب إلى سامرّا .

٧ ـ التطور اللغوي التاريخي .

٨ ـ التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية .

٩ ـ التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق .

١٠ ـ حديث السنين .

١١ ـ حنين إلى الكلم الضائع .

١٢ ـ حواشي على لغة التأويل (قيد الطبع بدار القلم) .

١٣ ـ الدخيل في الفارسية والعربية والتركية .

١٤ ـ دراسات في تراث أبي العلاء المعري .

١٥ ـ دراسات في اللغتين السريانية والعربية .

١٦ ـ درس في تاريخ العربية المحكية .

١٧ ـ رحلة في المعجم التاريخي .
١٨ ـ رسم الحرف وما يجيء منه (قيد الطباعة بدار القلم) .
١٩ ـ السيد محمود شكري الألوسي وبلوغ الأرب .
٢٠ ـ العربية تاريخ وتطور .
٢١ ـ الفعل زمانه وأبنيته .
٢٢ ـ فقه اللغة المقارن .
٢٣ ـ في الأمثال العربية .
٢٤ ـ في شعاب العربية .
٢٥ ـ في الصناعة المعجمية .
٢٦ ـ في اللهجات العربية القديمة .
٢٧ ـ في مجلس أبي الطيب المتنبي .
٢٨ ـ في المصطلح الإسلامي .
٢٩ ـ لغة الشعر بين جيلين .
٣٠ ـ لفيف وأشتات .
٣١ ـ اللؤلؤ النثير في التعليق على النهاية لابن الأثير (قيد الطبع بدار القلم) .
٣٢ ـ المجموع اللفيف .
٣٣ ـ المدارس النحوية أسطورة وواقع .
٣٤ ـ مع المعري اللغوي .
٣٥ ـ مع المصادر في اللغة والأدب .
٣٦ ـ مع نهج البلاغة .
٣٧ ـ معجم الفرائد .

٣٨ ـ المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام.
٣٩ ـ معجم ودراسة في العربية المعاصرة.
٤٠ ـ من أساليب القرآن.
٤١ ـ من بديع لغة التنزيل.
٤٢ ـ من سعة العربية.
٤٣ ـ من الضائع من معجم الشعراء للمزرباني.
٤٤ ـ من معجم الجاحظ.
٤٥ ـ من معجم عبد الله بن المقفع.
٤٦ ـ من معجم المتنبي.
٤٧ ـ من ملحمة الرحيل (ديوان شعر) وهو قيد الطبع.
٤٨ ـ النحو العربي في مواجهة العصر.
٤٩ ـ النحو العربي نقد وبناء.

التحقيقات:

١ ـ الأمكنة والجبال والمياه للزمخشري.
٢ ـ بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية لابن طاوس.
٣ ـ ديوان الجواهري بالاشتراك.
٤ ـ ديوان ابن الفارض.
٥ ـ أبي فراس الحمداني.
٦ ـ ديوان القطامي بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب.
٧ ـ ديوان قيس بن الخطيم، بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب.
٨ ـ رحلة ابن عابد الفاسي، بالاشتراك مع عبد الله الحبشي.

٩ ـ رسائل ونصوص في اللغو والأدب والتاريخ[1].

١٠ ـ الزهرة لمحمد بن داود الأصبهاني، بالاشتراك مع الدكتور نوري القيسي.

١١ ـ شعر الأحوص الأنصاري.

١٢ ـ شعر عروة بن حزام، بالاشتراك مع الدكتور أحمد مطلوب.

١٣ ـ فلك القاموس للكوكباني.

١٤ ـ في التعريب والمعرب (حاشية ابن بري على كتاب المعرب لابن الجواليقي).

١٥ ـ كتاب العين المنسوب للخليل بن أحمد الفراهيدي، بالاشتراك مع الدكتور مهدي المخزومي.

١٦ ـ كتاب الكتّاب لابن درستويه بالاشتراك مع الدكتور عبد الحسين الفتلي.

١٧ ـ كتاب النخل لأبي حاتم السجستاني.

١٨ ـ كشف النقاب عن الأسماء والألقاب لابن الجوزي.

١٩ ـ المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات لابن الأثير.

٢٠ ـ المقترح في المصطلح في صيد الطير لابن البقال.

٢١ ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء للأنباري.

٢٢ ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للفخر الرازي بالاشتراك مع الدكتور محمد بركات أبو علي.

* * *

---

(١) وهي ثلاث عشرة رسالة.

الأب أنستاس ماري الكرملي

وآراؤه اللغوية

معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة
١٩٦٩م، ٢٣٧ص، ١٧×٢٤سم.

في هذا الكتاب ترجمة مطولة للكرملي، تحدث السامرائي في مولده ونشأته وتعلُّمه، والموضوعات التي عني بها، وثقافته وسيرته، وعرض لمقالاته، وطريقته في الكتابة، وأورد مقالاته كلها مع اسم المجلة أو الجريدة، مع سنة ظهور المجلة واسم صاحبها ومحلّ صدورها، ورتّب المجلات والجرائد على حروف المعجم، فبلغ عدد المجلات والصحف التي نشر بها (٦٢) مجلة وجريدة، وعرض لتواقيع مقالاته باسمه الصريح، ولمقالاته المنشورة بتواقيع مستعارة، ومقالاته التي نشرت غفلاً من اسمه الصريح أو من توقيعه المستعار، وأبان أنه أكثر الناس توقيعاً باسم مستعار، حيث بلغت تواقيعه (٣٩) توقيعاً رُتِّبت على حروف المعجم مع اسم المجلة أو الجريدة التي كتب بها.

وعرض لخزانة كتبه، وهي من أعظم خزائن العراق الخاصة وأوسعها نطاقاً، ضمت (١٣٣٥) مخطوطاً و(٦٠٠٠) مطبوع، وأورد نماذج من عناوين المقالات التي كتبها الأب، مع الإشارة إلى مكان نشرها، ورمى بذلك إلى تنبيه القارئ إلى اختلاف ألوان الزاد العلمي الذي تزوّد به الأب، وعرض نماذج كثيرة من كتاباته في مجلاته، وبيّن فيها ماوقع فيه من أخطاء لغوية في الهامش ـ وذلك كثير ـ وأبان أن الكرملي في بعض

كتاباتـه كان يتخيل سائلاً يسأله، أو مراسلاً يراسله فيكتب على حسـبما يؤديه إليه الخيال.

وعرّف بكتابين للكرملي:

الأول: **نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها.**

والآخر: **أغلاط اللغويين الأقدمين**، ثم عرض لمؤلفاته الخطية، وعرَّف بمعجمه (المسـاعد)، وهو أجل مؤلفاته المطبوعـة والمخطوطة وأعظمها شأناً، وكان قد وسمه أولاً بذيل لسان العرب، ثم عدل عن هذه التسمية إلى المساعد.

ثم عَقَد فصلاً للوثائق والنصوص، اشتمل على رسائل وردت إلى الأب من جَمْهَرَة من العلماء، وعقد فصلاً طويلاً لمجموعة من الأغاني العامية العراقية قديمها وحديثها.

* * *

الأعلام العربية

بحث في أسماء الناس

دار الحداثة - بيروت ١٩٩٠م، ٢٤٦ص، ١٤×٢٠.

للأعلام قيمة اجتماعية غير خافية، فهي تعكس لوناً من ألوان التفكير الإنساني، وهي تظهر شيئاً من معالم حضارة الأمة. وكان السامرائي من أوائل من عني بدراسة الأعلام العراقية والعربية الحديثة، واعتمادها على الأصول القديمة، ويعود في هذا الكتاب إلى ذلك الجهد القديم مضيفاً إليه ما كان قد أدركه في درسه المتصل في الأعلام (وهو لم يرد بالأعلام والمشاهير من أهل العلم والمبرزين في المعرفة وغير هؤلاء مما ينصرف إليه الذهن عند سماع هذه الكلمة، ولكنه أراد أن يعرض لطائفة من أعلام الناس رجالاً ونساءً أي (أسماءهم)، وطريقة إطلاق الاسم ودلالته وأبنيته).

عرض في المقدمة إلى التصغير في الأعلام ودلالة ذلك، وأورد طائفة من الأعلام المصغرة، وأشار في كثير منها إلى أصلها المكبّر. ثم تلى المقدمة (البيئة العربية القديمة في الأعلام) فَعَرَضَ للأرض ومواد البيئة الأخرى في الأعلام، وأورد أسماء لها صلة بالأرض كـ (جندل) و(صخر) و(صفوان)، وأورد أسماء لها صلة بالماء مثل: (بلال) و(جعفر) و(ماويّة) و(مزينة)، وأسماء لها صلة بالرياح والليل والنهار والنجم والأدوات، وما يتصل بآلاتهم ومتاعهم في الأعلام، وكذلك ألفاظ السير، وعرض لأثر الألوان والحيوان في الأعلام، وختم هذا المبحث بكُنى الحيوان.

ثم تلاه مبحث (الأسـماء وعالم النبات والشـجر)، وفيه عرض للأعـلام المتخذة من أسـماء النبـات والشـجر مثل: (غيلان) و(عرار) و(طرفة) و(سفيان) و(جُلَّنار) و(خيزُران)، ثم مبحث (درس في الأعلام) وهو وقفات على الأعلام في العراق مع غيرها في جهات أخرى، وفيه عرض للأعلام الحديثة في العراق ودلالتها، وعلاقة ذلك بالذهنية اللغوية وبالتفكير الاجتماعي الشعبي، ومكانة هذه في السلسلة التاريخية، واقتصر في دراسته هذه على أعلام المسلمين من العراقيين عرب وكرد وتركمان، لأنه أفرد لأعلام النصارى واليهود والصابئين دراسة خاصة. وتبع ذلك عنوان (العربية في الأعلام) وفيه عَرَضَ للأعلام العربية من تغيير في بلاد غير العراق عربية كانت كدول شمالي أفريقية أو غير عربية كـ(غينية) و(نيجيريـة) فـي أفـريقيـة و(أذربيجـان) و(طـاجكستـان) و(منغـوليـة) و(أوزبكستان) و(داغستان) و(الشيشان) وغيرها في آسية الوسطى، وهو بحث ممتع مفيد أتى فيه بجديد.

(العربية في الأعلام الفارسية) أبان السامرائي في هذا الفصل أن العربية أثّرت في الفرس، فكانت أعلامهم عربية إسلامية، وربما جاور الاسم العربي الاسم الفارسي كأن يكون اسم أحدهم عربياً واسم أبيه فارسياً.

وأوضح أن الفرس أحبـوا العربية، وهم أمـة تهوى الجمال والفن والأدب، ولهذا حسـن اختيارهم لطائفة من الأعلام من مواد عربيـة. أحسوا بجمالها، وأُعجبوا بها، وارتضوا معانيها، فشاعت بينهم.

(الأعلام العراقيـة لغيـر المسلمين). تناول في هذا الفصل أعلام اليهود والنصارى والصابئة. وخلص السامرائي إلى أن أعلام اليهود عبرية في الغالب، وأن الطابع الديني يطبع طائفة كبيرة منها، وعرض لطائفة من تلك الأعلام، وعرّج على الأعلام اليهودية غير العبرانية، وهي مما أخذه

اليهود من الأعلام العربية المعروفة، ثم أتى على الأعلام النصرانية، فعرض للأعلام العبرانية التي أخذها نصارى العراق، وعرفت عندهم، وشاركوا فيها اليهود مثل: (أفرام)، (شمعون)، (ميخائيل) وعَرَضَ للأعلام المسيحية التي ترجع إلى أصول آرامية وسريانية، وللأعلام المستحدثة وهي ما أخذه المسيحيون العراقيون من الأعلام العربية، وشاركوا فيه المسلمين وغير المسلمين، وختم الفصل بالأعلام الأوروبية وهي التي استعارها النصارى من الأوروبيين مثل: (أنطون)، (فيليب)، (قيصر)، (بطرس)، (خوري)، ثم عَرَّج على أعلام الصابئة، وهي طائفة قطنت العراق منذ أقدم العصور وهي طائفة قليلة العدد، تسكن في لوائي العمارة والناصرية، ولغتها (المندائية) وهي من اللغات الآرامية.

(من الأعلام في الأردن وفلسطين)، عَرَضَ في هذا الفصل بإيجاز للأعلام فيهما، وشأن هذه الأعلام فيهما شأن سائر الأعلام في بلدان عربية ذات صلة بالبيئة العامة، وما تشتمل عليه من أرض، وما في الأرض من رمل وتراب، وما يعمرها من تل وجبل ونهر وهواء وسحاب وغير هذا.

(الأعلام في مصادر الأدب واللغة) استقرى السامرائي في هذا الفصل ثلاثة كتب للوقوف على الأعلام، وهي (شرح المرزوقي على كتاب الحماسة)، فتتبع أسماء الشعراء في كتابه الحماسة، مسيرة مَنْ يتوقف وِقْفَات مختارة على الفرائد من هذه الأسماء، ثم عرض للأعلام في كتاب (الموشح) للمرزباني ورتبها على حروف المعجم، ثم عرض للأعلام في (الإصابة) لابن حجر العسقلاني، وهذا الكتاب من أوسع المعجمات في أعلام الصحابة، وهو مادة مفيدة في استقراء الأعلام العربية القديمة.

* * *

إعلام الورى فيما نسب إلى سامرّا

جمعه وقدم له وعلق عليه إبراهيم السامرائي

دار الحكمة ـ لندن ١٤١٥هـ =١٩٩٤م،
١٧٩ص، ١٧×٢٤سم.

استرجعت ذاكرة السامرائي صورة مدينة سامرا من خلال اللقب الذي أثار العلاّمة مصطفى جواد، ليسأل عن صاحبه السامرائي بعد الدراسة والتحصيل، وهاهو يعود ليكتب عن عاصمة الخلافة العباسية لأكثر من نصف قرن، ويقدم هذا المجموع اللطيف الموجز.

جمع مادة الكتاب من خلال عكوفه على تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وبعض المصادر الأخرى، ثم اطلع على كتاب سامرا للدكتور يونس أحمد السامرائي فعاد إلى عمله وأخرج هذا الكتاب، وأضحى متمماً للعمل الذي بدأه الدكتور يونس.

وهو كتاب ممتع بما أضفى عليه من الأدب والشعر وفرائد الروايات، ونأى به عن مَلَل معاجم الأعلام. وجمود مراجع الأسماء.

بدأ كتابه بالكلام على سامرا وتخطيطها وتمصيرها وما قيل في دلالة هذا الاسم. ويقول: (والسامرّي نسبة إلى سامرّا، وهي النسبة القديمة، ولم نقف على نسبة إلى الممدود، ولعل هذا أن سامراء ممدودة لم تكن شائعة) ثم سرد الأعلام الذين نسبوا إلى سامرا وعددهم (١٥٩) علماً مرتبين ترتيب المعجم، ومنهم كثيرون لم يذكرهم الدكتور يونس،

وترجم للخلفاء العباسيين الذين توفوا في سامرا ودفنوا فيها، وكذلك الخلفاء الذين خلفوا بعدهم، وقد ولدوا وماتوا فيها.

ثم عقد فصلاً سماه (سامرا من مراكز العلم) بيّن فيه أنها كانت حاضرة من حواضر العلم كدمشق وبغداد والقاهرة، وتطرق للشعراء الذين ذكروها في أغراض عدة كالبحتري وأبي تمام.

وألحق بالكتاب ملحقين، الأول (من معجم البلدان لياقوت ـ سامراء)، والآخر (الجاحظ في بغداد وسامراء للمستشرق الفرنسي شارل بلا).

وختم كتابه الشائق والغني بالمعرفة، وكشف التفاصيل عن عاصمة الخلافة العباسية سامرا، بخريدة للشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري قوامها سبعة وسبعون بيتاً مطلعها:

ودّعتُ شرخ صباي قبل رحيله ... ونَصلتُ منه ولات حين نصوله

والملحوظ على الكتاب أنه كُتب في فترات زمنية متفاوتة ـ كما يقول المؤلف في المقدمة ـ فليس عليه طابع الوحدة الزمنية، وفيه شيء من الاضطراب، ولكنه مرجع مهم لدارسي كتب الأعلام.

* * *

الأمكنة والجبال والمياه

تاليف أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي

دار عمّار ـ عمّان ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م،
٢٦٦ص، ١٧×٢٤سم.

هذا الكتاب في المواضع الجغرافية من أمكنة وجبال ومياه، استقى الزمخشري كثيراً منها مما وجده في أشعار المتقدمين من الجاهلين والمخضرمين الإسلاميين، وأفاد شيئاً مما وجده في شعر العباسيين كأبي نواس الحسن بن هانئ. وعلى سبيل المثال ورد في هذا الكتاب أكثر من خمسين موضعاً وردت في شعر ابن مقبل، وقد رتب الزمخشري مواد هذا الكتاب على حروف المعجم.

وأهم مصدر من مصادر هذا الكتاب هو ما نقله عن شيخه وتلميذه (علي بن وهاس)، وهو من أهل مكة وشرفائها وأُمرائها، وقد صنف له الزمخشري (الكشاف) فما نقله عنه من أدق ما أُثِر عن المتقدمين في تحديد المواضع، أما ما عدا ذلك فالزمخشري ليس محققاً ـ كما يقول الجاسر ـ وإن كان عالماً لغوياً ففي كتابه أوهام، وأفاد الزمخشري أيضاً مما ورد في كتب اللغة، ولذلك جاء الكثير من موادّه غامضاً مفتقراً إلى الدقة والتحديد.

عمل السامرائي:

اعتمد السامرائي مخطوطتين زيادة على المطبوعتين، المخطوطة

الأولى: نسخة مكتبة أحمد الثالث رقمها (٢٧٤٣) ونسخة أخرى في المكتبة نفسها. وفي طبعة دار عمار هذه، زاد عليهما مخطوطتين في خزانة كتب عارف حكمت بالمدينة المنورة، واستفاد من كتب التاريخ والأدب الأخرى، ومما كتبه الشيخ حمد الجاسر في نقد الكتاب.

* * *

بناء المقالة الفاطمية

في نقض الرسالة العثمانية

لأحمد بن موسى ابن طاوس

حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور إبراهيم السامرائي

دار الفكر ـ عمان ١٩٨٥م، ٢٧١ص، ١٧×٢٤سم.

لمّا كان هذا الكتاب نَقْضاً للعثمانية، ورداً على الجاحظ، فمن الخير أن نفيد بالتعريف بالعثمانية ونقول: العثمانية هم أنصار عثمان بن عفان رضي الله عنه، والمحتجُّون لفضله المناضلون عنه، الدافعون مطاعن المخالفين فيه من الشيعة والزيدية وأضرابهم، وكانت العثمانية أشدَّ الفرق الإسلامية السياسية خلافاً على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كما كانت الشيعة أشدَّ الناس لهم عداوة، وكان اتجاه الشيعة في طعنهم على عثمان أن يطعنوا في سَلَفَيْه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتشتد حملتهم على أبي بكر، فاتجهت أفكار العثمانية إلى أن تعلي من شأن أبي بكر، وتلتمس له من المناقب ما ترى فيه انتصاراً على الشيعة وإفحاماً لهم، وأراد الجاحظ أن يكون حَكَماً بين الفريقين في رسالته (العثمانية) وتحامل على الشيعة.

ومنهج ابن طاوس في كتابه هذا أنه يورد نص الجاحظ في العثمانية ثم يعقّب عليه، ولكنه حين يورد النص يصدّره بنعوت كثيرة ينبز بها

الجاحظ، ذهاباً إلى تسفيه رأيه وتكذيبه والتشنيع عليه فيقول: وذكر الناصب .. وذكر ملقِّح الفتنة، ومبغض أمير المؤمنين، والراد على رسول الله، وساب الصحابة، والمكذب لما ورد في القرآن، وجواب ابن طاوس في نقضه عنيف يصل إلى حد الهجاء، وعَمَد إلى تأييد رأيه بما ورد في كتب الحديث والتاريخ والأدب، ولا سيما كتب الشيعة، وكأنه يريد بذلك ألاّ يكتفي بالرد على الجاحظ ما ذهب إليه في العثمانية بل يتجاوز ذلك إلى الرد على عامة أهل السنة في رأيهم بالإمامة، ومسائل أخرى تتصل بالصحابة وفي مقدمتهم الخلفاء الراشدون الثلاثة، وربما اجتهد في تفسير عبارة الجاحظ فرواها كما أراد له تفسيره واجتهاده.

عمل السامرائي في الكتاب:

كتب السامرائي مقدمة تحدث فيها عن المؤلف والكتاب وعمله في التحقيق، وصنع فهارس شاملة للكتاب.

* * *

التطور اللغوي التاريخي

دار الأندلس - بيروت ١٤٠١هـ = ١٩٨١م،
٢٤٠ص، ١٧×٢٤سم.

التطور اللغوي يعرض للعربية كما يعرض لأي لغة أخرى في عالمنا المعاصر، ويعرض أيضاً للألسن الدارجة، فتكون العامية في أي قطر عربي في عصرنا هذا غيرها في عصور سَلَفَتْ، وهذا الكتاب جملة فصول في التطور اللغوي في ظروفه التاريخية، وهو قائمٌ على الإفادة من القديم والجديد، هادفٌ إلى بيان أوجه هذا التطور والعوامل التي أثَّرت فيه، فعرض المؤلف لعامل التطور في اللغة، وبيّن كيف أن اللغة وهي مادة حية وظاهرة اجتماعية، تخضع كما يخضع غيرها من ألوان النشاط الإنساني إلى عوامل الزمان فتتأثر سلباً وإيجاباً، وعرض للمشكلة اللغوية وأبان أن العرب في يومنا هذا لا يتكلمون بالفصيح من العربية، فالعامي الدارج هو المستعمل، وأمرُ العامي مشكلة المشكلات أيضاً، فهناك لهجات مختلفة باختلاف البلاد، ثم إن البلد الواحد مشتمل على لهجات وطرق في التعبير مختلفة أيضاً، وربما صَعُب على العربي في شمالي العراق أن يفهم من سَكَنة الأهواز في جنوبي العراق.

ثم عقد فصلاً لأوهام النحويين، وعرض فيه لأوهامهم، وعزا ذلك إلى أنهم لم يفيدوا من لغة القرآن والقراءات الفائدة التاريخية اللازمة، ولم يُعنَوا بوجوه القراءات واعتمادها اعتماداً كافياً، وربَّما ذهبوا إلى القول بخطأ بعض وجوه القراءات، وامتلأت مصنفاتهم بالضعيف

المصنوع من الشواهد النثرية والشعرية، وعقد فصلاً للأضداد، عرض فيه لمواد الأضداد العربية، أتى فيها على موادّها وعلى حقيقة التضاد فيها، وكيف تطورت، وعلى مكانة الأضداد في الدراسات التاريخية اللغوية، وأورد أقوال المانعين والمُجيزين.

وعقد فصلاً ممتعاً هو (تحقيق لغوي في الصيغ والاستعمالات) اشتمل على فوائد لغوية تاريخية، إلى جوانب أخرى جدّتْ في العربية وشاعت. وسبيله في هذا العرض الابتعاد عن زاوية الخطأ، والذهاب إلى عرض الأسباب التي أدت إلى التجاوز، والإشارة إلى تاريخ هذا التجاوز وظروفه.

وأتبعه بفصل هو أطول فصول الكتاب (الأصول التاريخية للعامية البغدادية في ألف ليلة وليلة) استقرى فيه العامية البغدادية أو الألوان العامية العراقية الواردة في الكتاب، والجانب البغدادي في الكتاب واضح كل الوضوح، فهو كتاب بغدادي، فيه صور المجتمع البغدادي في طبقاته الاجتماعية المختلفة، فلا بد أن يكون الكتاب مادة نلمح فيها لغة البغداديين في أصولها التاريخية، واستقراء هذه النصوص التي تؤلف مادة (الليالي) يدل على لون من العامية البغدادية التي تعنى بإظهارها في هذه الدراسة، وأورد السامرائي الألفاظ العامية مرتبة بحسب ترتيب صفحات (الليالي) لا ترتيب المعجم.

ثم أردفه بفصل (العربية التونسية) فوقف على أشياء كثيرة تتصل بلغة التونسيين المعاصرة، سجّلها وأشار إلى أن هذه العربية التونسية قد حفلت بشيء من الفصيح القديم الذي ندر استعماله في بلاد المشرق، وفي بعضها شيء آخر، هو أن المادة العربية الفصيحة قد أحالها الاستعمال إلى مادة عامية دارجة.

* * *

التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية

دار الفرقان ـ عمّان ١٩٨٦م، ١٥١ص، ١٧×٢٤سم.

في هذا الكتاب ضُروبٌ من الكَلِمِ والاستعمالات وقف عليها السامرائي في جُملةٍ من كتب اللغة والأدب والتاريخ لمؤلفين عاشوا في عصور الدولة العباسية، وهو مما يندرج في سياق (المستدرك على المعجمات العربية).

فإذا كان اللغويون الأقدمون يرون أن عصور الاحتجاج قد انتهت بأوائل العصر الأموي، فإن العربية بقيت سليمة في استعمال الشعراء والكتاب والخطباء وسائر الفصحاء البلغاء، فقد جدّ بفعل التطور في العربية استعمالات جديدة، لابُدَّ أن تكون شيئاً من تطور الدلالة، فحُملت ألفاظ على دلالاتها القديمة، وتحولت أخرى إلى مصطلحات فنية أو ما يقرب من المصطلحات، فليس لنا أن نقول بقول الأقدمين: إن ما ورد من استعمال الكلم في العربية في الأحقاب التي تلت عصور الاحتجاج هو مولّد لا يعتدّ به فصاحة.

وفي هذا الكتاب، جمع السامرائي طائفة من الألفاظ العباسية، قصد بها أن تكون مادة هذا المبحث، وهي قليل من كثير اجتزأ به، واقتصر عليه، مستقرىً من كتاب (البخلاء) للجاحظ، وكتب التنوخي (المستجاد من فعلات الأجواد) و(الفرج بعد الشدة) و(نشوار المحاضرة) و(مفاتيح العلوم للخوارزمي) و(الديارات) للشابشتي، و(الوزراء) و(رسوم دار

الخلافة) كلاهما للصابي، و(الاعتبار) لأسامة بن منقذ و(مضمار الحقائق) للأيوبي و(الحوادث الجامعة) المنسوب لابن الفوطي و(الجامع المختصر) لابن الساعي.

وهذه الألفاظ. وهي مئات[1]، إما أن تكون مواد عرفت في عصور الدولة العباسية، فسجّلتها مصادر اللغة والأدب، وإما أن تكون شيئاً آخر اكتسب دلالة جديدة في حقبة الدولة الطويلة، وربما كانت هذه الدلالة الجديدة معنى مصطلحاً عليه، شاع ليدل على شيء من حاجات هذه العصور، أو من مرافق هذه الدولة التي امتدت إلى أكثر من خمسة قرون، وقد يكون شيء كثير من هذا الذي جدّ في هذه الأحقاب، قد كتبت له سيرورة طويلة بعد عصور هذه الدولة وزوالها.

* * *

(١) انظرها في فهرس المواد اللغوية، ص١٣٢ ـ ١٤١.

التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق

معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة
١٩٦٨م، ٢٦١ص، ١٧×٢٤سم.

كان من نِعَم الله علينا أن جعل كتاب هذه الأمة (القرآن الكريم) بالعربية، فقيّض لهذه اللغة الشريفة أن تقوى على الزمان، وألا يستطيع أن يؤتى عليها كما أتي على أخواتها من اللغات السامية، ولكنّها لم تسلم من التأثّر بالزمان والمكان، ومن الطبيعي أن يحصل ذلك، وليس من لغة وجدت على هذه الأرض إلا كانت متأثّرة بعامل الزمان وعامل المكان، وما توزيع اللغات منذ أن وجدت البشرية إلا نتيجة من هذا وذاك. . .

وعلى هذا تجرد السامرائي لبحث المشكلة اللغوية في العراق في عصرنا، وهو أمر في صميم العلم اللغوي، فكان بحثه في التوزيع اللغوي الجغرافي في العراق، وفي اللغات التي يباشرها العراقيون من شماله إلى جنوبه، وفي الأصول التاريخية لهذه اللغات، متناولاً اللهجات المحلية من بدوية وقروية وحضرية، مشيراً ما أمكن ذلك إلى الحدود الجغرافية لكل لون من هذه الألوان اللغوية، مستعيناً ما استطاع بالخرائط التي تهدي القارئ إلى ما يريد، وسبق ذلك إحاطة السامرائي بالماضي اللغوي في العراق، مشيراً إلى اللغات التي استعملها العراقيون في أزمنتهم الغابرة، فكان هذا الكتاب عرض سريع للنشاط اللغوي في العراق منذ بداية عصوره التاريخية حتى يومنا هذا.

عَرَضَ للألفاظ النصرانية في العربية، مُسْتَقْرِياً النصوص العربية

القديمة التي عرضت للثقافة النصرانية، على أنه قد يأتي باللفظ العربي الذي استعمله غير النصارى من الناطقين بالعربيـة، ولكنه حشـره ضمن الألفاظ المشار إليها، لأنه استعمله النصارى فاكتسب معنىً طائفياً أو دينياً خاصاً، وقد رتبها على حروف المعجم وعددها (٣٩) لفظة، ثم عرض لألوان العربية في العراق المدنية والقروية والبدوية، وفصّل الحديث عن لغة البدو، وأورد طائفة من الألفاظ البدوية.

ثم شرع في التقسيم الجغرافي للعربية في العراق، وبدأ بالقسم الشمال الغربي من العراق الموصل وأطرافها (العربية الشمالية)، وأورد مجموعة من الألفاظ المَوْصِليّة مرتبة على حروف المعجم، وانتقل إلى العربية في المنطقة الوسطى (اللهجة البغدادية)، واتخذ من لهجة بغداد نموذجاً للهجات العراقية في المنطقة الوسطى، وهي لهجة حَضَريّة متطوّرة، انتقلت في النصف الأول من القرن العشرين، من كونها لهجة عامية لها أصولها وألفاظها مما يميزها عن غيرها من اللهجات العراقية، إلى لهجة أخرى فيها الكثير من العربية الفصيحة.

وعرض لأصول اللهجة البغدادية، فتكلّم على العامية وعلاقتها بالفصيح، وأراد من العاميّة: الألفاظ التي شاع استعمالها بين العامة، فعُدّت من اللغة العامية، واجتزأ من ألفاظ العامة البغداديين مما وجده في كتاب ألف ليلة وليلة، ليخلُص من ذلك إلى اللهجة البغدادية الحديثة، فعرض للعنصر الصوتي في العامية البغدادية وأبان أن الإبدال يعرض لشيء من هذه الأصوات، فتتحول إلى مادة صوتية أخرى، وعرض للضمائر وأسماء الإشارة، واسم الموصول، والجموع، والفعل والمجرد والمزيد، واسم الفاعل والمفعول، وانتقل للحديث عن الفعل الرباعي فذكر من المواد الرباعية لتكون نموذجاً للألفاظ العامية، ورأى أن يبحث الرباعي في فصيح العربية، ليخلص من ذلك إلى الرباعي في العامية البغدادية، وأوردها على حروف المعجم.

ثم بحث في (العربية الجنوبية) وهي العربية الدَّارِجَة التي يستعملها أهل الجنوب في العراق (لواء الكوت، والديوانية، والعمارة، والحلة، والناصرية، والبصرة)، فعرض للعناصر الصوتية فيها، وعرض للضمائر، وأسـماء الإشـارة، والموصول، والمثنى، والجمع، وأسـلوب النفي، والتصغير، وأورد طائفة من ألفاظ سُكَّان الأهواز، واختار طائفة من أسماء النباتات لتكون نموذجاً لغوياً لهذه اللهجـة، وعرض بإيجاز للغـة الكردية واللغة التركمانية.

* * *

حديث السنين

سيرة ذاتية

دار عمّار ـ عمان، ٤١٢ص، ١٧×٢٤سم.

هذا الكتاب ألّفه في صنعاء آخر الحواضر التي قضى فيها تسعاً من السنين العجاف، قبل أن ينتهي به المقام في عمّان، سجّل فيه حياته ببيانه الجميل، وضمّنه ذكريات، ووقائع وصلات اجتماعية، وفوائد علمية، وأقباس شعرية. ويحوي ذكرياته من طفولته البائسة إلى شيخوخته الشقيّة، كتبه بأسلوب شائق جذّاب، وهو لا يكتفي بذكر الحوادث على لسان الراوي المتكلم في النص، بل يتجاوز ذلك إلى تخيل شخص آخر سماه (صاحبي) ويقوم هذا الشخص ـ من حين إلى آخر ـ بمقاطعة الراوي الذي يقص علينا ما جرى له في هذا المكان أو ذاك، ليوجّه إليه سؤالاً أو أسئلة عدَّة، فيَنْبَرِي الراوي للإجابة، سالكاً بهذا النهج سبيلاً غير مطروق، وطريقاً غير مسبوق، بأن أتاح للقارئ الذي يكاد يتقمَّص شخصية الصاحب في أثناء قراءته لمادّة الكتاب، أن يستدْرِج المؤلف لقول ما لا يقال.

ويستهل كتابه بذكر الدار التي نزحت إليها الأسرة وهي العمارة، والعشيرة التي نشأ فيها (السوامرة)، والمدرسة التي تعلم فيها، وما عرفه من نعيم البؤس وألعاب الصبيان، ويسير بالقارئ سيراً حثيثاً مطَّرداً وسط مجموعة من التأملات في طبيعة التعليم بالماضي، وما كان يتَّبع فيه من

أساليب، قبل أن ينتقل إلى دار المعلمين العالية ببغداد، وما كان لبعض أساتذته من أثر طيّب في نفسه كطه الراوي (ليس بين أهل الأرض من هو أعلم منه بالشعر)، وقد غرس حب هذا اللون من القول الموزون المقفى في تلميذه، وأفاد من الدكتور عبد العزيز الدوري، الذي كان له فضل كبير في تعيينه بعد تخرُّجه في السوربون، وقدَّم السامرائي مثلاً شروداً في الوفاء، فما من مدرِّس تتلمذ له، وأفاد منه، وعرفه في مراحل التحصيل إلا ذكره، واعترف له بالجميل والإحسان، في زمن أصبحت سِمَةُ الناس فيه نُكْرَانَ الفضل، ونسيان المعارف والأصدقاء والخِلاَّن.

ولا يحسبَنَّ القارئ أن هذه السيرة سَرْدٌ للحوادث فحسب، إنما يتخلَّلها وَصْفٌ شائق للأماكن والرحلات والمقاهي وبعض شوارع باريس التي نزلها المؤلف، فكانت له فيها صولات وجولات، فوصف لنا (السوربون)، و(الكولج دو فرانس)، و(الحي اللاتيني)، ومقهى (دوبونت)، و(مدرسة اللغات الشرقية)، و(المعهد الإسلامي)، و(متحف اللوفر)، وما تضم أروقته وباحاته من كنوز الرسم القديم والحديث، فضلاً عن التماثيل المنحوتة.

أما الحديث الممتع الذي يُستشَفُّ منه صَلابة السامرائي وقوَّةُ شكيمته، وسَعةُ اطِّلاعه، وعمق ثقافته، فهو الحديث المطرد عن مرحلة الدكتوراه والإشراف والمناقشة وما جُوبه به من تحديات. وفي بغداد يستأنف عمله في التدريس بكلية آداب جامعة بغداد، وفيما تبقى من حيز في السيرة صرف المؤلف جهده للكلام على أسفاره وجولاته من بغداد إلى تونس إلى الجزائر وإلى مصر والأردن وصنعاء التي أنشد فيها:

لابُدَّ من صنعا وإنْ طالَ السفر . . .

وينتهي في كتابة سيرته إلى عودته إلى عمان، بعد أن أقام في اليمن تسع سنوات، لقي بها العذاب كأنّه العَذْب النَّمير.

وحَسْبُنا من هذا عرضاً لمحتوى هذا الكتاب، من حيث إنه لايكتفي بذكر الحوادث، إنما يضمّ فضلاً عن ذلك شريطاً من التعليقات المفيدة في قضايا علمية، وأدبية، وسياسية، وأخلاقية، ولغوية، إلى جانب الكثير من المِلَحِ والطرائف التي تَرِدُ عَرَضاً في السياق مما يضفي على سيرة المؤلف طابعَ الفُكَاهة والمزج بين هزل القول وجَدِّه. والسِّمَة البارزة لهذا الكتاب هو الأسلوب الرصين، والنسج المتين الذي تميَّزت به عبارة السامرائي.

* * *

حنين إلى الكلم الضائع

(ديوان شعر)

دار عمّار ـ عمّان، ١٤١٩هـ = ١٩٩٩م،
٧٧٠ص، ١٧×٢٤سم.

الشعر باب العربية، والشعراء الكبار، هم أقْدَر الناس على معرفة أسرار العربية، والوقوف على دقائقها، ثم الحرص عليها والذَّودِ عنها، وما كان ذلك إلا لأنهم قرأوا فأكثروا القراءة، وحفظوا فجوَّدوا الحفظ، ولن تجد شاعراً كبيراً إلا ووراءه رصيدٌ ضخم من القراءة المحيطة الجامعة للغة في مجالاتها المختلفة، ويظهر هذا الرصيد فيما يسمِّيه أهل زماننا (المعجم الشعري) حروفاً وأبنية وتراكيب ودلالة. (مستقبل الثقافة العربية للدكتور محمود الطناحي، ص٥١).

ولقد اشتهر كثير من العلماء إلى جانب علمهم بقرض الشعر، بعضه نظم، وبعضه شعر جيد، والشعر بمعناه الدقيق في الاصطلاح الفني سيكون أكثر يسراً وأقرب منالاً لمن مارس اللغة الفصيحة قراءة وحفظاً واطلاعاً على عيون الشعر عبر العصور. ومن العلماء الذين برعوا في الشعر إلى جانب العلوم الأخرى إبراهيم السامرائي، وقد اشتهر هذا العالم بالدراسات اللغوية والأدبية والنحوية، ولم يعرف شعرَه كثيرٌ من الناس، وهو في شعره يوضع في مصافّ كبار شعراء عصره، ولكن للناس حظوظاً، وشعر السامرائي كثير جيد. له موسيقى وعذوبة وينحو فيه منحى القدماء.

وقارئ ديوان (حنين إلى الكلم الضائع) يجد نفسه أمام عالم لغوي شاعر، عالم أطاعته اللغة، ودانتْ له بعد عِشرَةٍ طويلةٍ وصلةٍ وثيقةٍ، وتقابله في الديوان أسماء يمنيّة استطاع أن يطوّعها لوزن عروض صحيح، ومضمون فكري عميق، أثبت فيه أصالة هذه الأسماء وعروبتها. ويقول أستاذنا اللُّغَويّ العلاّمة صبحي البصام في الديوان: «كان بي حنين إلى الكلم الضائع الذي حلَّ مَحلَّه في عصورنا الحديثة الكَلِمُ الرخيص المتهافت، فلما قرأت الديوان وجدتني قد ظفرت بذلك الضائع. إن أكثر قصائده عُقُودٌ من الذهب فيها أصناف اللآلي. شعر ديوانك أكثر من شعر الرصافي وأجمل». (من رسالة منه إلى السامرائي بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٠٠م).

والبحر المحيط من الثقافة اللغوية والمُعجميّة قد مكّن الشاعر من التعبير عن كل ما خطر في نفسه، من معانٍ وأفكارٍ ومشاعر بكل يُسر وسهولة، وهذا ما يفسّر غَزَارة إنتاجه شعراً ونثراً، قال كل شيء وقال كل ما يريد، ولم يَعْسُر عليه قط موضوعٌ يريد تفصيله، أو مشاعر يودّ أن يثبتها للقراء. وفي هذا الديوان تسجيل يومي لكل ما يعرض للشاعر من مواقف ومشاعر، ويتحدث في صحبته الطويلة للكَلِم واللغة، ويترجم كل ما يحسُّ به ويفكّر فيه شعراً، والسامرائي لم يترك خاطرة مرت به في البلدان الكثيرة التي عمل فيها أو زارها (العراق، فرنسة، المغرب، تونس، السويد، اليمن، الأردن، مصر . .) إلا سجّلها بتعبير شعري أنيق، تَلْمَح فيه مَتَانة التركيب اللغوي، وشفافية العاطفة الإنسانية.

وثمّة ملاحظات يجدها القارئ للديوان، خاصة في قصائده الأخيرة وهي كثيرة، وتشكل ظاهرة في حياته، تلكم هي الشكوى من غدر الزمان، وانحراف الزملاء، وهجر الأصدقاء، وقسوة الغربة، وتكاد هذه الظاهرة تغلف حياة الشاعر كلها، فتظهر واضحة جليّة في أقواله وأفعاله. وظاهرة الشكوى والأسف والحزن في الديوان تحتاج إلى دراسة مستقلة، يبحث

فيها الدارس عن أسبابها ودواعيها وشواهدها، كما أن علاقة الشاعر بالكتاب وصحبته له، وأقواله فيه ظاهرة تحتاج إلى دراسة مستقلة.

والسامرائي لم يجد الراحة في بلد أقام فيه، لا في بلده العراق ولا في البلاد العربية الأخرى التي يقول فيها:

فـإن كنـتَ فـي بلـدٍ (شقيـقٍ) ورويـتَ مـن (وادي العقيـق)
فـلأنـتَ أضيـعَ مَـنْ تكـون وأنـتَ فـي (البلـد الشقيـق)

وهو في شعره لم يمدح حاكماً، ولم يتزلف إلى ذي جاه، بل كان مدحه مقتصراً على خلّص أصدقائه كالشيخ حمد الجاسر. انظر ص٣٥١.

والغزل في شعره معدوم، فمن ملئت حياته هماً وغماً فكيف يأتيه الغزل؟ بقي أن أقول: إن ديوانه ضم (٢٧٥) قصيدة تتفاوت طُولاً وقِصراً، ونحن بانتظار الجزء الآخر من ديوانه (من ملحمة الرحيل) الذي يضم قصائد قوية طويلة اطلعت على كثير منها، وهي أجمل وأقوى من كثير من قصائد هذا الديوان، وهو قيد الطباعة في عمان.

* * *

الدخيل في الفارسية والعربية والتركية

معجم ودراسة[1]

مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٩٧م، ٢١٣ص،
٢٤×١٧سم.

الدخيل: هو كل لفظ أخذته العربية من لغة أخرى في مرحلة من حياتها متأخرة عن عصور العرب الخُلَّص.

تناول هذا المعجمُ تبادلَ الألفاظ بين الفارسية والعربية والتركية، أي التواصل الحضاري بين هذه الشعوب، لأن اللغةَ وِعاءُ الحضارة، وهذا المعجمُ يحاول أن يقدّم إحصاءً للكلمات التي دخلت العربية، وهي ليست منها، كما نظر إلى القضية من وجهها الآخر، وهو مدى ما أفادته اللغات الأخرى من العربية ويخص لغتين بدرْسِه هما: الفارسية والتركية، ولاريب في أن هذا عمل شاق يقتضي صبراً وتتبُّعاً ودِقّة ملاحظة، كما أنه يقتضي علماً واسعاً بأصول تلك اللغات، وتنقُّلِ ألفاظها بين العصور، مما يعين على تلَمُّس مواضع دخول اللفظة الدخيل في اللغة الأخرى. وقد قسّمه مؤلفه إلى خمسة أقسام:

القسم الأول: الألفاظ العربية في اللغة الفارسية ص١ ـ ٣٧، وأحصى

---

(١) كتب الدكتور وليد خالص دراسة جيدة عن الكتاب في صحيفة الرأي ٢٧/ ٣/ ١٩٩٨م، استفدت منها في التعريف بهذا الكتاب.

منها (١٤٢٩) لفظة، رتّبها على حروف المعجم، مثال ذلك: خَرابات: خمّارة، بيت الدعارة، فاش: ظاهر، واضح، عام، عمومي، خَر طَبْع: أحمق جاهل.

القسم الثاني: فوات ما فات من المعرَّب والدخيل ص٣٩ ـ ٦١، وهي الألفاظ التي لم ترد في كتب المُعَرَّبات من المعجمات وغيرها، وأحصى منها (٢٥٢) لفظاً رتبها على حروف المعجم، ولا تخلو لفظةٌ واحدةٌ في هذا القسم من تعليق مفيدٍ، يُجْلي معناها مثل أصلان: كلمة تركية تعني (الأسد الهصور) وبه سمّى العرب أبناءهم في عصرنا، باجي: كلمة تركية تعني أخت، وهي معروفة في العراق لدى الأسر التي عرفت الطريقة التركية في العيش، ويخاطبون بها الأخت الكبيرة احتراماً وتأدباً، بَزْم: كلمة فارسية تعني (مجلس الأنس والطرب) محفل، وقد سمّى العرب بهذه الكلمة فكان منه محمد البزم أحد أدباء بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، شيرين: بمعنى ما هو حلو ولذيذ ومحبوب وقد سمي الإناث في العراق ومصر وبلاد الشام بهذا الاسم.

القسم الثالث: ما بقي من الألفاظ التركية في الألسُن الدَّارجة، ويخصُّ بهذا الاسم عاميّةَ العراق وعاميةَ بعض البلاد العربية، وأحصى منها (١٠٦) ألفاظ مثل انتيكا (antica) كلمة مستعارة من الإيطالية لما هو قديم أو عتيق، وهي يونانية الأصل، وقد بقيت في بعض اللغات الغربية منها الإنكليزية والفرنسية.. وهي في عاميّة العراقيين بـ (السجادة) النفيسة العتيقة، وتوسّعوا فيها فأطلقوها على كل قديم ذي قيمة آثرية من التحف والأعْلاق النفيسة.

القسم الرابع: ما أفاده الأتراك من العربية، وهو أطول الأقسام، أحصى فيه (٤٤٧٦) لفظة مرتبة ترتيب المعجم، فساق السامرائي اللفظة التركية ثم الأصل العربي الذي أفادت منه، مثال ذلك ألفاظ (ahlak) بمعنى أخلاق، و (asal) بمعنى أصلي أساسي، و(belig) بمعنى بليغ، و(fetva)

بمعنى فتوى، وينهج النهج نفسه الذي ألفيناه سابقاً، وهو التعليق على كثير من الألفاظ التي يرى فيها ضرورة لهذا التعليق، وقد اعتمد في هذا الإحصاء الشامل على معجمين تركيين هما: معجم صفصافي، والمعجم التركي العربي.

القسم الخامس: وهو ملحق يشتمل على ما استعارته العربية في العصور المتأخرة من ألفاظ هي مصطلحات من الفارسية والتركية، وقد بلغت (٢٧) لفظة، تلَقَّطَها السامرائي من مصادر مختلفة، وطالت وقفته عند كل لفظة، مبيّناً معناها، ودِلالَتها الجديدة، والأصل الذي دخلت فيه إلى العربية، ومنبّهاً على بعض الأوهام التي وقع فيها أصحاب تلك المصادر، ومعلّقاً بتعليقات مفيدة.

هذا ولا نُغْفِل ذِكْرَ نتائج هذا المعجم التي جاءت مبثوثة في ثنايا المعجم منها:

١ ـ أن العربية سيّدة اللغات التي عرفت في هذا العالم، فقد حَفَلتْ حين وصلت إلينا بعامّة المعارف في عصور ما قبل الإسلام، بخُلاصة الفكر القديم الذي ساد لدى أُمَمٍ ذهبت.

٢ ـ أن العرب أخذوا من الفرس ما هو محسوس مُشاهد من أسماء الأدوات والآلات ونحوها.

٣ ـ أن الفرس أفادوا من العربية ألفاظ الفكر والمعارف العامة من أدب وفن وفلسفة وما يتصل بعامّة علوم الإسلام.

٤ ـ أفاد الأتراك من العربية الشيء الكثير، واستعاروا منها طوال قرون عدة، وظل هذا المستعار يتزايد حتى احتل من صفحات المعجم التركي القديم مساحة واسعة بالقياس إلى ما استعاره الأتراك من اللغات الأخرى ومنها اللغة الفارسية.

٥ ـ أن الدخيل صار مألوفاً في العربية الفصيحة المعاصرة التي ملئت بالكثير منه، مما تحمله إلينا أو علينا اللغات الغربية الحديثة، ولا سيما الإنكليزية، ولاشك أن هذه النتائج التي توصّل إليها هذا المعجم من خلال ذلك الاستقراء الدؤوب، نتائج تَنْفُخ الحياة في العربية، وتذكّرُ بما لها من تاريخ مجيد وَسَعَةٍ واضحة، كما أنها تستشرف المستقبل لهذه اللغة من خلال إبراز حيويّتها، وقدرتها على التكيُّف مع المتطوِّر الجديد.

* * *

دراسات في تراث أبي العلاء المَعَرِّيّ

دار الضيـاء ـ عمـان ١٩٩٩م، ٣٨٨ص، ١٧×٢٤سم.

عرفنا المعري شاعراً مشهوراً، ولم ندرك أنه كان أكثر من هذا، ومازال الكثير من الدارسين لا يتجاوزون هذا القدر في معرفتهم لأبي العلاء وليس الأمر كذلك، فقد كان أبو العلاء من أهل الفهم الذي تجاوز فيه مادة الشعر إلى غيره من علوم العربية، ثم تجاوز هذه على سَعَتها، فتناول أموراً أفضَتْ إلى ما ندعوه (الفكر الفلسـفي)، ولنبسـط شيئاً من سَعَة معارف أبي العلاء، فنقول: لقد كان نحويـاً تضلع من النحو، فقد أُعجب بكتاب سـيبويه وعني بشـرح كتابه، وكان له فيه شرحان: الأول للمبتدئين، والآخر لِمَن سواهم.

وفي (رسالة الغفران) نقف على سعة علم المعري، فنجده عروضياً لا يُضارَع، فقد وصل في علم العروض إلى فوائد زاد فيها على ما أُثر عن صاحب العروض (الخليل) ويقول السامرائي: «وأتجاوز هذا فأجد (الفصول والغايات) وأجد رسائله، فأجد في كل ذلك سَعَته في كل ما هو فلسـفي وما هو مُنْدَرج في (المعارف العامة) التي أسـماها أولـو العلم (الأدب)» ويضرب السامرائي مثلاً على هذا في كتابه (الصاهل والشاحج) الذي حشر فيه ما كان له ممّا يخصّ الحيوان، ويذهب إلى أن أبا العلاء كان يُومئ أو ينظر إلى الحيوان الذي أوعب فيه الجاحظ معارفه في الأدب والنقد والفرق وغيرها، ويختم السامرائي مقدمته بقوله: «إن المعري من

الناس، وقد يكون له ما للناس من خير وشر، ذلك أني وجدته قد جار على السنين فظلم البُحتري أيما ظُلم في كتابه عبث الوليد».

ضم هذا الكتاب أربعة عشر فصلاً:

الأول: مع المعري في اللزوميات ص١١ ـ ٤٧، خَلُص فيه إلى أن اللزوميّات مصدرٌ وافٍ لكثير من المعارف، وهي بهذا تتجاوزُ حدودَ مجموعات الشعر ودواوينه، إنه وثيقة مهمة أراد بها أبو العلاء أن يَظْهَر على رجال عصره من أهل العلم كافّة، وهي مصدر للعربية نجد فيه الفرائد والنوادر مما لا نجده في كتاب من كتب العربية، وكان له فهم في التصرُّف بهذه الثروة اللغوية.

الثاني: من قراءة في رسالة الغفران ص٤٩ ـ ٧٧، وهو نظرات في مقدمة الدكتورة بنت الشاطئ التي حققت رسالة الغفران وفي الرسالة التي حققتها.

الثالث: مع رسالة الغفران ص٧٩ ـ ١١٢، أبان أن رسالة الغفران رسالتان، جعل المعري أُولاهما في (الغفران) وهي رواية تخيَّلها فرحل إلى الجِنان حيث تصوَّر ابن القارح وقد غفر الله له، فإذا هو يسأل الناجين من الشعراء والأدباء: بِمَ غُفر لكم، ثم ينتقل إلى جنة العفاريت، فإلى الجحيم حيث يسأل الهالكين بِمَ لم يُغفر لكم؟ وأبو العلاء يثني على ابن القارح ثناءً عظيماً، ويُطْري رسالته إطراءً لا مزيد عليه، ورسالة ابن القارح قد أراد منها صاحبها أن يتقرَّب من المعري، ويعرفه ويطلعه على ما عنده وما أبداه في رسالته ليسمع منه ما يقول، فكان من أبي العلاء رسالته الشهيرة بالغفران، وفي الرسالة الثانية عَمَد المعري إلى الرد على ما جاء في رسالة ابن القارح مفنّداً، ومحلّلاً للبدع التي أخذ بها أبناء العصر، موافقاً ابن القارح حيناً، معارضاً له حيناً آخر، كل ذلك في شيء من المداورة والغموض، لئلا يغضب رجال الفكر في عصره ممن يخالفونه

الرأي، ولا يذهبون مذهبه، وتتميز بالأسلوب الاستطرادي الذي يذكر بأسلوب الجاحظ.

الرابع: عَبَثُ الوليد في الكلام على شعر البحتري ص١١٣ ـ ١٥٨، وهو نظرات في مقدمة ناديا علي الدولة وتحقيقها لعبث الوليد، ضم ثمانين ملحوظة.

الخامس: مع أبي العلاء في الصاهل والشاحج ص١٥٩ ـ ١٨٤، أبان أن الكتاب على مِنوَال كليلة ودِمْنَة، وإن اختلف العرض بين الكتابين، وأشار إلى ما بينه وبين الغفران من وَشيجة رَحِم. وهذا الفصل نظرات في عمل محققته الدكتورة بنت الشاطئ.

السادس: شيء من الصاهل والشاحج ص١٨٥ ـ ٢١٧، أوقف فيه القارئ على شيء من كتاب الصاهل والشاحج، ليدرك سَعَة المعرفة اللغوية في تراث أبي العلاء.

السابع: مع الفصول والغايات ص٢١٩ ـ ٢٢٦، عرض في هذا الفصل لكتاب المعري (الفصول والغايات) الذي كان للمتقدمين فيه قولٌ سائر لم يكن حقاً، وهو أن أبا العلاء عارض فيه القرآن الكريم، فهذا لابُدَّ أن يكون قد بدأه أحد الحاقدين على أبي العلاء الذين رموه بالكفر والإلحاد، ولعل هذا كان سبباً في عزوف أهل الدرس عن الكتاب وجعله مما يُتَحَامَى. فنّد السامرائي هذا القول ورأى في الكتاب ما يبعد عن هذا.

الثامن: مع زجر النابح ص٢٢٧ ـ ٢٥١، وزجر النابح، كتاب صنفه أبو العلاء، نعت أحد الذين نسبوا إليه الكفر والإلحاد بالكلب ينبح الناس ليؤذيهم فلم يُفلِح نُبَاحُه. وفي هذا الكتاب عرض لهذا الكتاب، وإيراد نظرات في تحقيق الدكتور أمجد الطرابلسي لهذا الكتاب.

التاسع: مع رسائل أبي العلاء المعري ص٢٥٣ ـ ٣٠٢، أبان أن

المعري في رسائله كما في كتبه، يَبْسُط معارفه واجتهاده فيها، وعرض لبعض رسائل أبي العلاء، وألقى نظرات في تحقيق الدكتور إحسان عباس والدكتور عبد الكريم خليفة لهذه الرسائل.

العاشر: مع رسالة الملائكة ص٣٠٥ ـ ٢١٧. ضمت هذه الرسالة واحداً وعشرين مسألة، تقوم على ألفاظ قديمة خاصة، وما قال المعري في أصولها واشتقاقها مثل ملك، عزرائيل، منكر ونكير ... عَرَض لكتاب المعري هذا بتحقيق محمد سليم الجندي.

الحادي عشر: من معارف المعري ص٣١٩ ـ ٣٢٩. وضم هذا الفصل فوائد في اللغة والنحو والأدب والنقد والتاريخ، رأى السامرائي أن يُوعِبَها في هذا الكتاب، ليَبْسُط بين يدي القارئ ذرءاً من معارف المعري الواسعة.

الثاني عشر: أدوات المعري ص٣٣١ ـ ٣٦٦، عرض فيه لكثير من المواد اللغوية للمعري، وكان له فيها الاختيار وليس الجمع الوافي، ذلك أنه عَمَد إلى أن يضع قدراً من أصناف ألفاظه مما يفي بحاجته، فليست صنعته شيئاً من عمل مُعجمي، ولكنه دليل أثبت فيه ما كان من سَعَة معارف أبي العلاء، وبهذا أعفى نفسه من تقييد الكلم بمواطنها في كتب المعري.

الثالث عشر: مع كتاب (أبو العلاء وما إليه) ص٣٦٧ ـ ٣٧٤، عرض فيه لهذا الكتاب النفيس الذي صنفه العلاّمة عبد العزيز الميمني.

الرابع عشر: طه حسين وأبو العلاء المعري وذكرى أبي العلاء ص٣٧٥ ـ ٣٨٥ عرض فيه لكتاب طه حسين (ذكرى أبي العلاء).

* * *

دراسات في اللغتين السريانية والعربية

دار الجيل - بيروت، ومكتبة المحتسب
عمّان، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ٢٠٧ص،
١٧×٢٤سم.

وهو مباحث لغوية تتصل باللغتين السريانية والعربية، عَرَض فيها لمواد تاريخية تتصل بهاتين اللغتين، وجُملة موادّ هذا الكتاب تدخل في باب (الأبحاث اللغوية المقارنة)، وخلص من هذه المباحث اللغوية التاريخية إلى أن الصلات التاريخية بين اللغتين العربية والسريانية تنتج عن قرابة لغوية، وهذه القُربى بينهما تتأتّى من أنهما ترجعان إلى أصل واحد، وأوضح أن القرابة بين العربية والسريانية أوضح ما تكون بين هاتين اللغتين منها بين العربية وأية لغة أخرى من جملة هذه اللغات القديمة، ولعل أقرب اللغات السامية إلى العربية هي السريانية، وذلك لأن العربية عاصرت هذه اللغة السامية، في حين أن سائر اللغات السامية الأخرى قد عفّى عليها الزمان فلم يبقَ منها إلا الشُّخُوص التاريخية.

عرض السامرائي في هذا الكتاب لما صُنّف في موضوع الآثار السريانية في العربية الدارجة بالعراق، وأشار إلى كتاب الدكتور داود الجلبي الموصلي (الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية) فوقف على ألفاظه، وعلق عليها بفوائد تتصل بموضوع ما يظن أنه دخيل في هذا اللسان الدارج، وعاد إلى الأصول الفصيحة، فوقف عليها وِقْفاتٍ تاريخية تدخل في باب ما يسمى بعلم المعجميات المقارنة، فعمل من ذلك معجماً

صغيراً ضم (١٢٥) لفظة، اتّبع فيه الترتيبَ الهجائي، فذكر مادّة الجلبي، وعقّب عليها بما رآه مفيداً مناسباً، وفعل الشيء نفسه مع مقالات (يوسف غنيمة) في مجلة لغة العرب.

ثم عمل كتاباً أو معجماً (فاعول بين السريانية والعربية) ص١٠٩ ـ ١٧٢، أشار فيه إلى أن بناء (فاعول) ـ وإنْ استُعمل في العربية ـ فهو من الأبنية السريانية التي استعملها العرب فأضافوه إلى أبنيتهم، فالحقوه بأبنية الآلة تارة، وبأبنية المبالغة تارة أخرى، وذكر طائفة ممّا جاء على (فاعول) مرتبة ترتيب المعجم من أسماء المدن، والمواضع القديمة، وأعلام الرجال مما عرَّبَه العرب وأخضعوه في استعمالهم من بناء (فاعول)، فابتعد قليلاً أو كثيراً عن أصله الأجنبي، وعرض في هذا العمل المُعْجَمي لهذه المواد كلها، فأثبت من الفوائد لكل منها ما تستحقه مما اهتدى إليه في العربية، وأشار إلى سريانية المواد إن عرضت، كما أشار إلى ما جدّ في العربية من هذه الألفاظ، مما أُعطي له هذا البناء النادر.

* * *

درس تاريخي في العربية المحكية

عالم الكتب - القاهرة، ٢٠٠٠م، ٢٦١ص، ١٧×٢٤سم.

دَرْس الألوان المحكية من العربية مما اصطلح عليه بـ (اللهجات) أمر مهم، وكان السامرائي قد بدأ هذا الدرس، فوقف على العربية المحكية في غير بلد واحد في البلدان العربية خاصة في العراق.

وهذا الكتاب ذو فصولٍ في العاميّة التي تذهب إلى الدرس التاريخي الذي يُعين على رسم تاريخ العربية بوجه عام. وليس كلام المؤلف في العامية ضرباً من التعصب لها والاهتمام بها، وليست وجهٌ من وجوه الإعراب عن المعاني التي نمتحن بها في عصرنا هذا، ولكنه يبحث فيها على أنها ظاهرة لغوية لابدّ أن نقف عليها وِقْفة خاصة، ويقول ص٩: «.. إن فينا حاجة إلى أن نعود إليها، لأنها تحمل الضَّيْم على فصيحتنا التي نجتهد أن تكون لغة العصر ولغة الحضارة الجديدة، وأن نعيد لها شيئاً مما كان لها من المكانة والقوة والسَّعَة طُوالَ عصورٍ مَضَت. لقد كانت لغة الدنيا المتحضرة، لغة العربي وغيره مسلماً كان أم غير مسلم».

بدئ الكتاب بمبحث (حول العامية في العراق) و(من ألفاظ العامية العراقية وتاريخها) فعرض لشيء من معجم العامية العراقية مما وجده في (رحلة ابن بطوطة)، فأورد (٢٥) لفظة منسوقة على حروف المعجم، ثم أتبع ذلك بـ (الكَلِم الدخيل في العامية العراقية)، فذكر الكلم الفارسي والتركي العثماني الذي تحفل به العامية، مرتّباً ترتيب المعجم.

ثم أعقبه مبحث (السريانية بين اللغات العامية وفصيح العربية)،

فعرض لنحو (١٣٠) لفظة سريانية في العربية الدارجة في العراق، وعلّق عليها بفوائد تتصل بموضوع ما يُظن أنه دخيل في هذا اللسان الدارج، وعاد إلى الأصول الفصيحة ووقف عليها وِقْفات تاريخية تدخل في باب ما يسمى (علم المعجميات المقارنة).

ثم أتبعه بـ (الثقافة العامية في التاريخ) وخلص إلى أن الثقافة العامية خير مصدر لمعرفة البحث اللغوي التاريخي.

ثم عقد فصلاً للألفاظ الدخيلة في رحلة ابن بطوطة، فذكر الكلمة غير العربية أو العامية، وذكر بيان معناها بالعربية وذكر سياقها وأهلها، وأضاف إضافات لغوية وتاريخية إلى ما جمعه أحد الباحثين الأردنيين من رحلة ابن بطوطة (ما فسّره ابن بطوطة في رحلته من ألفاظ).

ثم تلا ذلك (العامية والفصيح المهجور) أورد فيه ذخيرة من كَلِمٍ عامي شاع في الألسن الدارجة، وهو فصيح نجده في الأدب الجاهلي والإسلامي غير أن العربية المعاصرة قد خلت من هذه الذخيرة، وظنها المعربون في عصرنا أنها عامية، لا يمكن أن تكون في عربيتنا المعاصرة. ويقول السامرائي ص٢٢٥: «... إن الفصيحة المعاصرة على غناها في الجديد من مصطلح وغيره، ضاقت عن أن تسع الكثير مما هو في معجماتنا القديمة».

ثم ختم الكتاب بـ (في العربية المعاصرة ومعجمها) وهو عرض موجز لثلاث وأربعين كلمة جديدة اشتملت على جديد وافر، خالف المأثور المعروف من فصيح العربية، ومضى في هذا الدرس بعيداً عن الخطأ والصواب، ذلك أن هذا الذي عُدّ خطأً في مطلع هذا القرن جرت به الألسنة، وجرى عليه الكتّاب، حتى ضاع ما بدا للدارسين أُصولاً فصيحة.

* * *

ديوان الجواهري

جمعه وحققه وأشرف على طبعه الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور مهدي المخزومي، والدكتور علي جواد الطاهر، ورشيد بكتاش، ٧ أجزاء، ١٧×٢٤سم، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٣ ـ ١٩٨٠م.

الجواهري شاعر عصره، تميزت قصائده الكثيرة بالتزام عمود الشعر التقليدي، على جَمال في الدِّيباجة، وجزالة في النسيج، كما تميزت بالثورة على بعض الأوضاع الاجتماعية والسياسية له ديوان ضخم حافل بالمطولات.

ودواوينه على تعدُّدِها لم تنتظم شِعرَه كله، فهناك ما هو منشور في جريدة، وما هو غير منشور، وأخذت وزارة الإعلام العراقية على عاتقها نشر شعره كاملاً، وقد اختارت الوزارة لذلك هذه اللجنة، وناطت بها القيام بهذا العمل، ورأت اللجنة أن ترتّب القصائد ترتيباً زمنياً لتقضي بذلك على الفوضى الشائعة في الدواوين، وتيسّر للباحثين سبيل دراسته، ورأت للوصول إلى ذلك أن تجمع الدواوين السابقة كلها، وأن تراجع الجرائد والمجلات، وأن تتصل برواة الشعر وجامعيه، ليتسنّى لها تحقيق الخطَّة التي وضعتها لنفسها، ولِتقف على ما أصاب هذه القصائد من تغيير، وما لحقها من زيادة أو نقصان، قد عُنيت اللجنة بذكر المناسبة التي قيلت فيها القصائد، وتحديد أماكن النشر، ولم ترد أن تُثْقِل الهوامش

بالتعليقات والشروح الزائدة، واكتفت بتفسير ما لا بُدَّ من تفسيره وضبْطه ضبْطاً يكاد يكون كاملاً، والتزمت اللجنة أن تثبت في صَدْر كل قصيدة ما استطاعت أن تحصل عليه من مناسبتها، وتاريخ نظمها، وتواريخ نشرها في الجرائد والمجلات والدواوين، ورأت اللجنة أن تحتفظ بمقدمات الطبعات السابقة وتنشرها في هذه الطبعة موزَّعة على الأجزاء، وأن تصدر هذه الطبعة برسم الخطوط العريضة لحياة الشاعر الحافلة بالأحداث.

* * *

ديوان القُطَامي

تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور أحمد مطلوب، دار الثقافة ـ بيروت، ١٩٦٠، ١٩٦ص، ١٧×٢٤سم.

القطامي: عمير بن شُيَيم التغلبي الملقب بالقطامي، شاعر غزل فحل، كان من نصارى تغلب في العراق وأسلم، جعله ابن سلاّم في الطبقة الثانية من الإسلاميين. توفي نحو عام ١٣٠هـ. من شعره البيت المشهور:

قد يدرك المتأني بعض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل

الأعلام: ٥/٨٨.

عمل السامرائي ومطلوب في الكتاب:

اعتمدا على نسخة الشيخ (محمد بن محمود الشنقيطي) وهي نسخة طبق الأصل لمخطوطة دار الكتب المصرية، وعلى نشرة المستشرق (برن) التي طبعت في ليدن، وحاولا إخراج الديوان بأدق شكل ما وسعهما ذلك، وأكثرا من الشرح، لأنهما قدماه للمتخصصين وغير المتخصصين.

* * *

رحلة ابن عابد الفارسي
من المغرب إلى حضرموت

للشريف يوسف بن عابد الحسني الفاسي المغربي

حقق نصها، وقدم لها، وعلق عليها إبراهيم السامرائي، وعبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ١٩٩٣م، ١٥٢ص، ١٧×٢٤سم. المقدمة ١ ـ ١٠، النص ١١ ـ ١٤٠، الفهارس ١٤١ ـ ١٥١.

إن كتب الرحلات تشتمل فيما تشتمل عليه من فوائد اجتماعية: فوائد تاريخية تتصل بتاريخ العصور، وهذه الرحلة بدأت في أواخر القرن العاشر الهجري، واستمرت أكثر من عشرين سنة، فلا بُدَّ أن تكون مَعيناً للدرس التاريخي في هذه الحِقْبَة.

وهذه الرحلة قام بها صاحبها ابن عابد الفاسي (٩٦٥ ـ ١٠٨٤هـ) من المغرب إلى حضرموت، وكان السبب الأول من القيام بها هو طلب العلم خلافاً لكثير من أهل المغرب الذين حفزهم إلى التطواف أداء فريضة الحج.

بدأ صاحب الرحلة بترجمة سيرته، قبل أن يبدأ الكلام على شيوخه الذين أفاد منهم في فاس، والشيوخ الذي لقيهم في الجزائر وتونس ومصر والحجاز، وهو من أهل العلم، اكتملت أدواته في علوم العربية والعلوم الدينية. وعَرَض في رحلته لما يتصل بشؤون البلاد والعباد ممّن ساكَنَهم وعاش بين ظَهْرَانيهم.

* * *

رحلة في المعجم التاريخي

عـالـم الكتـب ـ القـاهـرة، ١٤١٩هـ =
١٩٩٩م، ٥٣٨ص، ١٧×٢٤سم.

هذه الرحلة صنّفها السامرائي في صنعاء حاضرة اليمن، وقد نشر بعضها في مجلات علمية، وحوى هذا الكتاب فصولاً علمية ممتعة هامة منها:

١ ـ **اللغات السامية وأقسامها بحسب التوزيع الجغرافي وخصائص تلك اللغات،** خَلُص السامرائي إلى أن العربية احتفظت بأغلب الصفات التي وصلت إليها من أصول سامية.

٢ ـ **من الفرائد الحسان:** ويضم نوادر وقف عليها خلال تَجْواله في رِحاب المعجم القديم.

٣ ـ **من مواد المعجم التاريخي(الجمع في طائفة من الكلم القديم):** عرض فيه لبعض الجموع في الكلم القديم متحدثاً عن سيرتها التاريخية.

٤ ـ **بين الأصالة والتوَّهُم:** عرض فيه لجملة من ألفاظ الجمع، وشَقّق فيها الكلام على الأصول، وما عرض لها في تاريخها في الاستعمال من ضُروبٍ من الاتساع، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه.

٥ ـ **المعجم العربي والتعريب:** وهو تعليق على محاضرة الأستاذ حسن الكرمي في مجمع اللغة العربية الأردني (المعجم العربي والتعريب)

ونَقْضٌ لما جاء في محاضرته، من تهكُّم على العلماء القدماء ومعاجمهم وزهو المحاضر بنفسه، واطمئنانه إلى سَعَة معارفه.

٦ـ نظرة نقدية في اللغة اليمانية في المعجمات العربية: مهّد له بشيء يتصل بالوضع والانتحال في اللغة، وأبان أن أهل الدرس لم يَعْرِضوا للموضوع المرتجل من المواد اللغوية، وأبان أن طائفة كبيرة من الأبنية الرباعية والخماسية لا تشير إلى معنى واضح، ذلك أن طائفة كبيرة من هذه المواد في اللغة اليمنية لا تشير إلى معنى واضح، فمال السامرائي إلى أن ذلك موضوعي مصنوع وأورد طائفة منها، ثم غادرها إلى الألفاظ اليمنية التي لا تحتمل الصدق.

٧ ـ من أصول العربية اليمنية سعة الفعل فيها: انتهى فيه إلى أن العربية اليمنية من اللغات التي قد اتّضح فيها الفعل، وما كان منه توسعاً واستعارة، واستقرى ما جاء في الفعل في أسماء المواضع والأحياء وأعلام الرجال والنساء في كتابَي: الإكليل، وصفة جزيرة العرب، وكلاهما للهمداني، ثم اتبعه بفصل (مع اليمن في بقايا لغوية) عرض فيه لظاهرة الإبدال في اللغة اليمنية.

٨ ـ رسم الحرف (الإملاء) وحدوث التصحيف: خلص فيه إلى أن آفة التصحيف قد اعْترَت النصوص، فكان فيها مما يبين. وكان شيء آخر قد أُستغلق فصار خطباً، لأنه أساء إلى المعنى فجاء منه ما هو عجيب، ورأى أن ذلك مما أدى إليه رسم الحرف، وفي هذا المبحث وقف السامرائي وِقْفات طويلة على كتاب عبد السلام هارون (قواعدالإملاء) وكتاب الدكتور نايف معروف (تعلّم الإملاء وتعليمه).

٩ ـ من كتاب التنبيهات: وفيه مما يتصل برسم الحرف. ومؤلف الكتاب علي بن حمزة البصري، حقّقه العلاّمة عبد العزيز الميمني، فأتى الميمني بالفوائد النادرة، وأخذ السامرائي على المؤلف اندفاعه إلى إيجاد

الخطأ، وقد يتوهمه، فيكون شديداً في المؤاخذة، وقد يغريه حُبُّ التنكيت إلى إنكار ما هو غير مُنكَر، ويأتي بما ينهى عنه غيره، وله تنبيهات طفيفة لا تليق بالحفظ والتقييد أو التهويل والتنديد، وأخذ عليه أيضاً أغلاطاً له كثيرة، وعرض السامرائي لما يتصل برسم الحرف في كتاب التنبيهات.

١٠ ـ مع ابن بطوطة في رحلته: عرض فيه للمواد التي شرحها ابن بطوطة مما له صلة بفصيح العربية والألسُن الدارجة، وبما هو مركَّب من الكلم من العربية وغيرها من اللغات، ودَبَّجها بفوائد تاريخية رتّبها على حروف المعجم.

١١ ـ في مسيرة العربية من المصطلحات في المصادر التاريخية والأدبية: وفيه نعى السامرائي هُرُوعَنا إلى الكَلِم الأعجمي في مقتضيات العصر إلى عدم إفادتنا من تجارب أهل الصنعة في توليد المصطلحات طوال العصور، ووقف على طائفة من الكلم في كتاب (مختصر سياسة الحرب) للهرثمي صاحب المأمون، قد صرفت إلى مصطلحات تتصل بالحروب، ثم تحول إلى(كتاب التيسير والاعتبار) لمحمد بن خليل الأسدي وأورد ما جاء فيه من مصطلحات أصولها فارسية وتركية في شرح أسماء الدواوين، والوظائف، والرتب، والألقاب العسكرية وغيرها، أفادت منها العربية رتّبها على حروف المعجم.

١٢ ـ في الأعلام الجغرافية اليمنية: تعقَّب فيه طائفة من الأعلام البُلْدانية في اليمن، واختار منها طائفة كان له فيها ملاحظات لغوية تاريخية أدرجها على حروف المعجم.

١٣ ـ طائفة من الأعلام الجغرافية في العراق: اختار منها طائفة ذات فائدة لغوية تاريخية، وقد استبعد منها الأعلام التي كَثُر دَرْسُها فعرفت في الموسوعات التاريخية مثل بغداد، وقد رتّبها على حروف المعجم.

* * *

رسائل ونصوص
في اللغة والأدب والتاريخ

حققها وقدم لها إبراهيم السامرائي. مكتبة المنار ـ الزرقاء، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م، ٤٢٣ص، ١٧×٢٤سم.

يشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الرسائل في اللغة والأدب والتاريخ نشرها السامرائي مُنجَّمةً في المجلات العلمية. ولما كان وصول طلاب العلم إليها عسيراً، جمعها في هذا الكتاب لتكون بين أيدي الدارسين يفيدون منها. وهي:

الرسالة الأولى: (خلق الإنسان للزجاج) ص٩ ـ ٦٤، وفي هذه الرسالة يذكر الزجاج خَلْق أسماء الأعضاء وصفاته، على ما سُمع من العرب، فبدأ بالرأس وختم بالساق وصفته، واعتمد السامرائي على ثلاث نسخ خطية: نسخة حسن حسني عبد الوهاب، وهي أقدمها. ونسخة دار الكتب المصرية. ونسخة المتحف البريطاني. ولم يتخذ أياً من النسخ الثلاث أصلاً اعتمده دون غيره، بل جَهَد أن يتّبع النص في جميعها لتكون أتمّ وأسلم.

الرسالة الثانية: (ما يُذَكَّر وما يُؤَنَّث من الإنسان واللباس) لأبي موسى سليمان بن محمد الحامض ص٦٥ ـ ٧٢، واعتمد السامرائي على مخطوطة المتحف العراقي.

الرسالة الثالثة: (في التذكير والتأنيث) لأبي حاتم السجستاني ص٩٣ ـ ١٠٦، واعتمد السامرائي على مخطوطة معهد المخطوطات

العربية، وقدم للرسالة ببحث في التذكير والتأنيث ص٧٣ ـ ٩٢ .

الرسالة الرابعة: (ألفاظ الشمول والعموم للمرزوقي) ص١٠٩ ـ ١٤١ ، اعتمد السامرائي في تحقيقها على نسخة دار الكتب المصرية ونسخة المتحف العراقي.

الرسالة الخامسة: (السَّرْج واللِّجام لابن دُرَيْد) ص١٤٣ ـ ١٥٧ .

الرسالة السادسة: (تمام فصيح الكلام لابن فارس) ص١٥٩ ـ ٢٠٢ ، وهذه الرسالة إحدى الرسائل الكثيرة التي كتبها أصحابها تعليقاً على كتاب (فصيح الكلام) لثعلب، فقد عُني اللغويون كثيراً بفصيح ثعلب، فمنهم من توجه إليه بالنقد، فأظهر خطأه ونَقْصَه، ومنهم من استدرك عليه فأتى بشيء لم يعرض له ثعلب، وهذا الكتاب هو إحدى تلك المصنفات التي استدرك فيها أصحابها على فصيح ثعلب، واعتمد السامرائي في تحقيقه على نسخة ياقوت الحموي المحفوظة (بجستربتي) في دبلن، وعلى المطبوعة بتحقيق الدكتور مصطفى جواد، ويوسف مسكوني.

الرسالة السابعة: (من كتاب المسائل والأجوبة للبطليوسي) ص٢٠٣ ـ ٢٥٤ ، والكتاب يتناول ما ينيف على مئة مسألة، يتضمن مسائل في النحو واللغة، والأدب، والتفسير، والأصول، اختار منه السامرائي مسائل نَشَرها عن مخطوطة حسن حسني عبد الوهاب، وعلّق عليها بما يصل إليه جُهدُه.

الرسالة الثامنة: (تلقيب القوافي، وتلقيب حركاتها لابن كيسان النحوي) ص٢٥٥ ـ ٢٨٥ . وهي في العروض.

الرسالة التاسعة: (كتاب النخل لابن وحشية النبطي) ص٢٨٧ ـ ٢٩٩ ، نشرها عن نسخة محمود شكري الألوسي، وقد كتبها بخطه، ويقول السامرائي: «أغلب الظن أن هذه الرسالة جزء من كتابه المشهور (الفلاحة النبطية)».

الرسالة العاشرة: (فوائد الموائد لابن الجزار)ص٣٠١ـ٣٦٨، وهو كتاب صغير قال فيه ابن الجزار في فاتحته: «أردت أن أتقرب إلى خاطرك الكريم بتصنيف مختصر في المآكل والكلام عليها، وأودعته نوادر من أخبار البخلاء» وفيه عشرة أبواب، وهو كتاب طريف ومفيد، يبرز فوائد جَمَّة، ولا يخلو من ألفاظ ذات مدلول اصطلاحي. اعتمد السامرائي في نشره على ثلاث مخطوطات، الأولى: نسخة المتحف البريطاني، الثانية: نسخة خزانة الفاتيكان، الثالثة: نسخة المكتبة الوطنية بباريس.

الرسالة الحادية عشرة: (رحلة الخياري) أورد السامرائي مقتطفات منها، ص٣٦٩ـ٣٧٦.

الرسالة الثانية عشرة: (التعريف بآداب التأليف للسيوطي)، ص٣٧٩ـ٣٨٦.

الرسالة الثالثة عشرة: (الشماريخ في علم التاريخ)ص٣٧٩ـ٤٠٢، وتتعلق مادة الرسالة بالتاريخ، وكيف اهتدى المسلمون منذ زمن النبي ﷺ إلى الطريقة التي أرَّخوا بها، وكيف استقرّوا على أن هجرته ﷺ مبدأً لتاريخ المسلمين، وفيها مادة لغوية تتصل بكتابة العدد حين يراد تاريخ وفاة، أو ولادة، أو تعيين حدث من الأحداث.

الرسالة الرابعة عشرة: (التعريف بمخطوطة الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط لمحمد بن مصطفى الشهير بداود زاده التركي) ص٤٠٣ـ٤٢٣. جمع فيها مؤلفها الغلطات التي عزاها الفيروزآبادي إلى الجوهري صاحب (الصحاح). وعلّق عليها بتعليقات.

* * *

الزهرَة

لأبي بكر محمد بن داود الإصبهاني (٢٥٥ ـ ٢٩٧هـ) (النصف الثاني)[(١)]

حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور نوري القيسي، وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ١٩٧٥، جزآن.

أوضح المؤلف طريقته التي سلكها في كتابه هذا فقال: «وهو كتاب سمَّيته (الزهرة) واستودعته مئة باب، ضمّنت كل باب مئة بيت، أذكر في خمسين باباً منها جهات الهوى وأحكامه، وتصاريفه وأحواله، وأذكر في الخمسين الثانية أفانين الشعر الباقية، واقتصر في ذلك على قليل من كثير، وأقنع من كل فن باليسير، إذ كان ما نقصده أكثر من أن يتضمّنه كتاب أو يعبر عن حقيقته خطاب»، ج٢/ ١٧.

أما طريقته في عرض الأبواب الخمسين الأولى التي توزعت على الجزء الأول، فكانت تتلخّص في التعقيب على كل باب من الأبواب بما يشاكله من الأشعار، ويقتصر على القليل من الأخبار، ويبدأ في الخمسين الأولى بذكر حكمة أو مَثَل، ثم يذكر الأخبار والأشعار فمثلاً: من كَثُرتْ لحظاتُه دامت حَسَراته، قال بعض الحكماء: رب حرب جُنيَتْ من لَفْظَة، ورب عشق غُرس من لحظة ... وأنشدني أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي لامرأة من الأعراب:

---

(١) نشر النصف الأول الدكتور لويس نيكل البوهيمي، بمساعدة الشاعر إبراهيم عبد الفتاح طوقان. مطبعة الآباء اليسوعيين. بيروت ١٣٥١هـ = ١٩٣٢م.

أرى الحبَّ لايفنى ولم يُفنِهِ الأُلى أحبّوا، وقد كانوا على سالف الدهر

الجزء الثاني:

ويضم الخمسين باباً الأخرى، ويغلب على عناوينها السجع مثل: مراثي الملوك والسادات وأهل الفضائل والرئاسات، نوح الأهل والإخوان على من فقدوه من الشجعان، ذكر من جزع فاحتاج إلى تعزية أوليائه، ومن رزق الصبر فاستغنى بحسن عزائه، ذكر المعاني الظاهرة والأمثال السائرة، وهذا الجزء يحوي أخباراً قصيرة وأشعاراً كثيرة.

ويغلب على الكتاب طابع المُقطَّعات التي تتراوح أبياتها بين البيتين والأربعة، وتشكل هذه المجموعة أكبر كمية في الكتاب، أما القطع التي تزيد على هذا العدد من الأبيات فهي قليلة، وقد توزعت اختياراته بين العصور الأدبية المعروفة (الجاهلي ـ الإسلامي ـ الأموي ـ العباسي الأول).

والأصبهاني لا يترك النصوص تمر دون إبداء رأي فيها، ولكنه كان يقف عند بعضها وِقْفات قصيرة، يبرز قيمة النص الفنية، ويظهر براعة الشاعر وقدرته على التوفيق إن كان موفقاً، وإخفاقه إن كان الحظ غير محالف له، وقد أدرك القدامى قيمة هذا الكتاب فتحدثوا فيه، وأشاروا إلى فائدته، وأثنوا على حسن اختياره.

عمل السامرائي والقيسي في الكتاب:

كتبا مقدمة طويلة تحدثا فيها في الكتاب والمؤلف، والنسخ المعتمدة في التحقيق، وهي مخطوطة المتحف العراقي، ومخطوطة (تورينو) الإيطالية، ومخطوطة دار الكتب المصرية، وأوجزا ملاحظات على الكتاب هي:

١ ـ يغفل المؤلف نسبة كثير من الأبيات، فيذكرها بلا عَزْوٍ، ويكرر

عبارة مألوفة في الكتاب هي: وقال آخر، وقد حاولا نسبة بعض هذه الأبيات، ونسبا كثيراً من القطع غير المنسوبة، أشارا إليها في الهامش.

٢ ـ في نسبة كثير من النصوص اختلاف، وتكاد تكون بعض هذه النسبة جَليَّة الوَهْم، واضحة اللَّبس، وقد حاولا تصحيح نسبتها إن وجدا ما يثبت هذه النسبة.

٣ ـ يبدو على النصوص اختلاف كبير بينها وبين ما هو مثبت في دواوين الشعراء إن كانت لهم دواوين، وبينها وبين كتب الأدب والتاريخ واللغة إن كانت مثبتة في هذه المراجع، وقد حاولا إبقاء هذا الاختلاف مشيرين إليه بشكل إجمالي بعبارة (وفي رواية الأبيات اختلاف) أو (وفي رواية الأبيات اختلاف كبير) إن كان الاختلاف بينهما كبيراً، خوفاً من إثقال الهوامش بمثل هذه الاختلافات الكبيرة. فمن أراد الرجوع إليها فعليه بمراجع التخريج التي أشارا إليها.

٤ ـ في تسلسل بعض الأبيات اختلاف، خاصة المُقطَّعات الطويلة، وقد أُبقي تسلسلها كما هو في النص محافظة عليه.

٥ ـ قسم من الأبيات التي وجداها غير منسوبة أو منسوبة إلى بعض أهل هذا العصر، ولم يجدا لها نسبة أو ذكراً فيما توفر لديهما من المصادر، رجَّحا أنها من نظم المؤلف نفسه.

أما المؤلف فهو محمد بن داود بن علي بن خلف الظاهري أبو بكر: أديب مناظر شاعر. قال الصفدي: «الإمام ابن الإمام. من أذكياء العالم» أصله من إصبهان، ولد ببغداد عام ٢٥٥هـ وعاش فيها وتوفي فيها مقتولاً عام ٢٩٧هـ، وكان يلقب بعصفور الشوك لنحافته وصُفرة لونه. وهو ابن الإمام داود الظاهري الذي ينسب إليه المذهب الظاهري. الأعلام ٦/ ١٢٠.

* * *

السيد محمود شكري الألوسي

وبلوغ الأرب

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م، ١٥٢ص، ١٧×٢٤سم.

محمود شكري الألوسي (١٢٧٣ ـ ١٣٤٢هـ = ١٨٥٧ ـ ١٩٢٤م) مؤرخ وعالم بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح، تصدَّر للتدريس في داره وفي بعض المساجد، وحمل على أهل البدع في الإسلام، فعاداه كثيرون، فذاع صِيتُه، وقصده الدارسون من شتَّى البلدان. ولمّا احتل البريطانيون بغداد، عرضوا عليه قضاءها، فزهد فيه انقباضاً عن مخالطتهم. وتوفي ببغداد، وله أكثر من خمسين مؤلفاً. الأعلام ٧/ ١٧٢.

وهذا الكتاب الذي أفرده السامرائي لسيرته ولكتابه (بلوغ الأرب) عرض في مقدمته إلى أسرة الألوسي، وبيئته الخاصة وشهرته، ومصادر دراسته، ثم عقد فصلاً لمصنفاته، ثم عقد فصلاً مُطوَّلاً وهو أطول فصول الكتاب ص٣٥ حتى نهاية الكتاب، للتعريف بكتاب (بلوغ الأرب في أحوال العرب)، فأبان أن منهج الألوسي العلمي في هذا الكتاب، أنه يسعى إلى ما ورد في كتب التاريخ والأدب، فيثبت منها ما يحتاج إليه في تأييد كل رأي، وتقوية كل معرفة، بما دوّنه منها المتقدمون من الأدباء والكتّاب والشعراء والمؤرخين، وهو بَسْط المعرفة القديمة في قول أحد القدماء بما يؤيّدها من معاصر له، أو ممن خَلَفَهُ وأخذ عنه، ومن هنا نجد طائفة كبيرة

من مصادر المعرفة مما أشار إليه، وممّا لم يشر إليه، فيعيّنه بالاسم وهو حين يشير إلى مصدره، ينتهي فيه إلى إثبات ما أقرّه في أوائل فصوله.

ومادة الكتاب ترمي إلى معرفة أحوال العرب، وأحوال العرب القدامى، وهذه المادة التاريخية غير بعيدة عن المادة الأدبية واللغوية، وهي كذلك متصلة أشدّ الاتصال بالحضارة العربية القديمة في مساربها الواسعة، التي تشتمل على ما ندعوه في عصرنا بالحالة الاجتماعية، فالقارئ يقف في هذا العِلْق النَّفيس على معارف العرب وعاداتهم وممارساتهم. وقد يذهب بالقارئ الظن إلى أنّ الألوسي أراد أن يكرم العرب وينتصر لهم، فهو يبرز للقارئ الصحف المُشرقة من تاريخهم المجيد، ولكنه ما إنْ يباشر استقراء مادته استقراءً كافياً، يدرك أن الألوسي مؤرخ أمين، وقف على المحاسن والمساوئ، فأشار إلى مفاخر العرب كما أشار إلى ما لا يليق من ممارساتهم، ممَّا أُثبت في مصادر التاريخ والأدب. ومن هنا كان بلوغ الأرب مصدراً لطالب المعرفة التاريخية، من مؤرخ، وأديب، ولغوي، وعالم في الاجتماع.

وهذا الكتاب النفيس لم يدرك قيمته وفوائده السَّنِيَّة إلا مَنْ وقف عليه وقوف المستفيد، الذي يهمّه أمر تقويم التراث، ومعرفة ذخائره ونفائسه، ولن يعرف مكانة الألوسي من العلم مَنْ لم يطل دَرْس هذا السفر الغني، ذلك أن تصانيفه الأخرى على كَثرتها، لا تعطي القارئ ما يعطيه هذا العِلْقُ النفيس.

* * *

العربية تاريخ وتطور

مكتبة المعارف - بيروت ، ١٤١٣هـ =
١٩٩٣م، ٣٩٦ص، ١٧×٢٤سم .

صَحِب السامرائيّ المعجم العربي القديم مصاحبة الصديق لسنوات طويلة، أدرك فيها من خصائص العربية ما يشير إلى سَعَتِها وعراقتها، فبدا له أن يجمع طائفة من وِقْفَاته فكان هذا الكتاب، وقد جعله في بابين اشتمل كل باب على عدة فصول .

الباب الأول: وضم ستة فصول :

الأول والثاني منها: **مسيرة في رحاب العربية في ظلال المعجم القديم**. جمع فيهما طائفة من المواد التي وقف عليها في المعجم، وأشار إلى موضعها التاريخي وما آلت إليه، فكان عمله هذا مستدركاً على كتابه (معجم الفرائد)، انظر التعريف به. والفصلان يشتملان على عرض لغوي تاريخي لألفاظ كثيرة عددها (٤٢٥) لفظة، رتبت على حروف المعجم، وفيهما من الفوائد اللغوية النقدية التي يجب أن تتوفر في المعجم التاريخي ص٩ـ١٨٥ . نحو: أبّ، أبط، أجن، بور، ثول . . .

الفصل الثالث: **الأصل القديم للمصطلح الحضاري**، ص١٨٦ - ٢٠٨، عَرَضَ فيه لمواد البَدَاوة الأُولى، ثم تحوّلها إلى موادّ حضارية خدمت العالم المتخصص، وأورد فيه نماذج من ألفاظ الحضارة، عايَشَت مظاهر البداوة، وهذا يعني أن هذه اللغة العريقة قد تجاوزت المراحل، وعاصرت الحضارات، فكانت أداة صالحة للإعراب عن الجديد .

الفصل الرابع: **من أبنية العربية**، ص٢٠٩ ـ ٢٣٤. ويشتمل هذه الفصل على أبنية مشتقّة صُرفت في العربية إلى فوائد دلالية، ومن هذه بناء (فِعْل) الذي أفاد معنىً بعيداً عن المصدر نحو (ذِبح) للمذبوح وهو غير المصدر (ذَبْح) وأبنية أخرى حَفَلت بها العربية، وهذه مادة كبيرة أغفلها الدارسون المعنيون بتوفير المصطلح الجديد.

الفصل الخامس: **تحقيق لغوي في الصِّيَغ والاستعمالات** (وهو مكرر في كتاب التطور اللغوي التاريخي).

الفصل السادس: **سطوة الشاعر ولغة الشعر**، ص٢٥٥ ـ ٢٧٧ خَلُص في هذا الفصل إلى أنّ لغة الشعر صَنَعَها الشعراء الكبار، فكانت عربية خاصة تجاوزت حدود العربية، وما اهتدى إليه اللغويون والنحاة في دَرْسهم، وعَرَض إلى مشكلة ما دُعي ضرورة شعرية، وتأثير كل هذا في تطوّر العربية في تاريخها الطويل.

الباب الثاني: وضم خمسة فصول:

الفصل الأول: **مقدمة في دراسة اللَّهجات**، ص ٢٨١ ـ ٣٠١ واللهجات ـ على ما درج عليه المعاصرون ـ في الكلام على البَقايا اللغويّة التي تتّصل بلغات القبائل، وفي هذا الفصل عَرَض للمشكلات التي تعترض الدارسين في معرفة موادّ اللهجات القديمة، إذ إن الشَّذَرات اللغوية التاريخية التي بين أيدينا لا تيسّر لنا معرفة لغات القبائل في أقاليمها، وخَلُص إلى أن اللهجات الدارجة المعاصرة مع العربية الفصيحة المعاصرة، هي التي ننتهي فيها إلى الدرس العلمي.

الفصل الثاني: **العامي الفصيح**، ص٣٠٢ ـ ٣٥٢. عرض في هذا الفصل لمعجم صغير مادته ألفاظ عامية في عصرنا، وقد كانت ألفاظاً فصيحة وهي (١٣٣) لفظة مرتبة على حروف المعجم. نحو: بخت،

جلب، خبص، خنن، دعس، روب، سيب. . .

الفصل الثالث: **قصة العاميّـة في العراق: تاريخُها وواقعُها** ص٣٥٣ ـ ٣٦٣ وفي هذا الفصل عَرَض لصلة العامية بالفصيحة، وضرورة دَرْسها، لاتعصّباً لها، ولكن على أنها ظاهرة لغوية لابُدَّ أن نقف عليها وِقفة خاصّة، وعرض فيها للمحاولات الأولى في هذا الدرس واستمراره طوال العصور.

الفصل الرابع: **لغة الشعر العربي المعاصر**، ص٣٦٤ ـ ٣٧٢ نبّه في هذا الفصل على قصور هذه اللغة، وعدم استطاعة أصحاب هذا الشعر أن يدركوا في شعرهم ما يشيرون إليه من الإعراب عن الفن الحديث المعاصر الذي يكتسب قوته من الفكر الحديث.

الفصل الخامس: **الجديد في اللغة والمعجم العربي الحديث**، ص٣٧٤ـ٣٨٦ عرض فيه لألفاظ كثيرة جَدَّتْ في هذا العصر لتؤدّيَ حاجات فنيّة اصطلاحية، يقوم طَرَفٌ منها على المصدر الصناعي، في حين جاء شيءٌ آخر على غير هذا المصدر، وقد نبّه إلى أن المواد الجديدة ينبغي أن يكون لها موضع في المعجم العربي الحديث، مثل: الإمبرياليّة، الإنتهازية، البرجوازية، الرجعية، العملاء.

* * *

الفعل زمانه وأبنيته

مطبعة العاني - بغداد، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م، ١٧×٢٤سم.

هذا الكتاب يندرج تحت التطور اللغوي. تناول المؤلف في هذا الكتاب مادة الفعل في العربية، لأهمية الفعل في كلام العرب، وللأهمية اللغوية لهذه المادة في التفكير النحوي القديم، وجَلَى فيه جوانب من العلم النحوي القديم، وفصّل فيه القول ليخلُص إلى حقائق نحوية، تأخذ من القديم مادة فيبنى عليها شيء جديد، وقد أبان عن غرضه من تأليف هذا الكتاب في مقدمته فيقول ص٣:

«وأنا إذ أقدم للباحثين في العربية هذه الفصول أرجو أن أوفّق إلى إقناعهم إلى حقيقة علمية هي: أننا الآن ندرس النحو التاريخي على نحو ما تركه لنا النحاة الأقدمون، دون أن نمسّه بشيء على أنه من الدراسات التاريخية كما ندرس الكثير من العلوم القديمة».

وقد درس الفعل العربي: زمانه وأبنيته، بعد العرض لما تركه الأقدمون في هذه الناحية.

واسترسل بالحديث في الأفعال الناقصة، انتهى فيه إلى أن مصطلح (الناقصة) لهذه الأفعال غير صحيح، إنما هي تسمية اعتباطية، كما تدلّ على ذلك الآراء المختلفة التي قال بها الأقدمون للوصول إلى هذه التسمية، وأنّ هذه الأفعال لا تختلف عن أفعال العربية الأخرى في شيء من عناصر

الفعلية، وهو الدلالة على الحدث المقترن بزمنٍ ما، وحقيقة الاستعمال لا تؤيد وجود هذه الصفة في هذه الأفعال. ويقول ص٥٧ : «والذي يجب أن نقوله في هذه الأفعال أنها تطوّرت في الاستعمال حتى صارت لا تكتفي بفاعلها كما هي الحال فيما أسموه بـ(كان) التامة التي يتّضح فيها الحدوث.. أقول: تطوّرت في الاستعمال فانتقلت من هذه الصورة القاصرة المكتفية بفاعلها إلى شيء آخر، يفتقر إلى المنصوب المكمل للمعنى الذي يقتضيه المعنى الجديد، وبسببٍ من هذا الافتقار أرادوا أن يجعلوها مخالفةً لمجموع أفعال العربية فاخترعوا هذه التسمية.

(صيغة ما يسمى بالمجهول من الأفعال) وفي هذا الفصل ساوى بين نائب الفاعل والفاعل، فـ(ضُرِبَ زيد) مثل (قام زيد) من حيث أن (زيداً) في كلتا الجملتين مسند إليه، والقيام بالفعل لا يعني بالضرورة أنه الفاعل الحقيقي، بل إنّ ذلك يشير إلى المرفوع الذي يسند إليه الفعل ويتّصف به، وخلص فيه إلى أنّ الفعل المبني للمجهول، قسم خاص من الأفعال، وبناء قائم بذاته من أبنية الفعل العربي، ورأى إلغاء مصطلح المبني للمجهول ونائب الفاعل.

ويقول ص٩٧ : «من المفيد أن نشير إلى أن المبني للمجهول لم يبقَ منه شيء في لهجاتنا العربية الدارجة، وقد عُدل عن هذا إلى ما سمّي بالمُطاوع، فيقال (انهزم) ولا يقال (هُزِم)، ويقال (انكسر) ولا يقال (كُسِر)...».

وفي فصل (بناء الرباعي) وهو أطول فصول الكتاب، ذكر فيه أنّ ابن فارس ذهب إلى أنّ كثيراً من بناء الرباعي عامة في الأفعال والأسماء قد حصل بالنحت. (والنحت تركيب بطريقة خاصة لا قياس فيها).

وتتبّع السامرائي معجم ابن فارس (مقاييس اللغة) ليتبين قول ابن فارس في طريقة البناء.

ويقول السامرائي ص١٤٩ : «وأنا لا أشكّ في أنّ الغرائب من المواد في العربية التي لم تخرج إلى الاستعمال المشهور مصنوعة موضوعة، وعلى هذا نستطيع أن نفسّر كثيراً من الرباعي العامي الذي ينطلق به اللسان، ثم يكتب له الشيوع».

وفي ص١٥١ : «وبعد، فإذا كان هذا مما يؤيد القول إن في العربية الفصيحة كما أثبتتها معجمات اللغة افتعالاً واصطناعاً وكذباً، فحقيق بنا أن نقول: إنّ عامية اليوم لا تخلو من اصطناع وافتعال. غير أن الافتعال في عاميتنا الحاضرة لم يكن كالافتعال الذي تعمّده اللغويون الأقدمون، وقصدوا إليه إظهاراً للعلم وادّعاءً بالمعرفة، بل إنَّ هذا مما يجري به اللسان عفواً وبداهةً».

وعرض السامرائي للأفعال الرباعية في العامية العراقية مبوِّباً المواد على حروف المعجم، شارحاً كيف تمّت هذه الأبنية، موضحاً الطرق العامة التي جرت عليها العامية في بناء الرباعي.

ثم عرض للجملة الفعلية، وتأنيث الفعل للفاعل، وختم الكتاب بفصل (الإعراب في الألفاظ والجمل).

وبعد، فهذا الكتاب عرض موجز في (الفعل) ولكنَّ إيجازه لم يفتقر إلى التثبيت والاستقصاء والرجوع إلى الرأي المبني على الأصول الثابتة في هذه المادة الواسعة.

* * *

فقه اللغة المقارن

دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٧م،
٣١٦ص، ١٧×٢٤سم.

يشمل هذا الكتاب دراسات في فقه اللغة، يختص بعضها بالعربية، ويشمل بعضها موضوعات مقارنة في اللغات السامية الأخرى، وهي محاولة رصينة لعرض اتجاهات الدارسين في هذا الموضوع، وتصحيح كثير من الآراء بعد نقدها نقداً منهجياً.

وفي الكتاب دراسة جيدة في تاريخ المشكلة اللغوية، والمشكلة اللغوية قائمة في عصرنا، وذلك لأن العربية الفصيحة المكتوبة، هي غير العربية المستعملة في التخاطب، وغير اللهجات الدارجة التي لم ترقَ إلى لغة المثقّفين، وهي في مادّتها نماذج متأخرة متدهورة، وليس قيام المشكلة على هذا الوجه بمستحيل الحل، فلم يسلم عصر من عصور التاريخ اللغوي من ازدواج في اللغة.

وفي الكتاب دراسة في تاريخ المشكلة اللغوية وثنائية العربية وما طرأ على جذورها من زيادة أو قلب أو إمالة. كل هذا في نفَس علمي وأُسلوب بيّن طَلي، وشواهد الدراسة من القرآن والشعر الجاهلي مع مناقشة لذلك، وتبيان أصول الأخذ وفروع التأويل، وفيه مقابلة في أوجه الصرف بين العربية والعبرية والآرامية من حيث البناء والاشتقاق وعوامل الإعراب.

وفيه دراسة للتثنية والجمع في العربية (بحث ومقارنة)، ودراسة

لحرفَي الميم والنون، وهما متشابهان متلازمان، فهناك طريقة للتصغير في الأسماء لا تذكرها كتب الصرف والنحو، وهذه الطريقة شائعة في الأعلام المغربية كما في خلدون، عبدون، جلّون . .

ونجد طائفة من الأسماء تصغّر هذا التصغير، ولكنها تُختم بالميم عوضاً عن النون مثل حلقوم، خيشوم، وتبدو العلاقة بين الميم والنون في اللهجات العربية الحديثة. فميم الجماعة التي تلحق كاف الخطاب كما في كتابكم تصبح نوناً في اللهجة اللبنانية والسورية.

وعرض السامرائي للتنوين، خَلُص فيه إلى أنه أداة صوتية في آخر الكلمة، وربما قصد بها التنبيه والإشارة، ثم فقدت مكانها فصارت (أل) في أول الكلمات للتعريف، ثم انتقل للحديث عن المولَّد والجديد والمصطلح الفني ومكانة الجديد في اللغة، والعربية بين الجمود والتطور والتوليد، ثم انتقل لحقيقة التضمين في علوم العربية، وعرض لدخول العامية وشيوع اللحن، فأبان أنّ ذلك كان في أوائل العصر الإسلامي، وبحث في الأعلام الحديثة في العراق ودلالتها، ومكانة هذه في السلسلة التاريخية، وقيمة هذه الأعلام من الناحية اللغوية. وختم الكتاب بتعابير أوروبية في العربية الحديثة مثل: برجوازية، إمبريالية.

* * *

فلك القاموس

لعبد القادر الحسيني (الكوكباني)

تحقيق إبراهيم السامرائي. دار الجيل - بيـــروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ٨٠ص، ١٧×٢٤سم.

هذا الكتـاب مدخل للقاموس المحيط للفيروزآبـادي، واستدراك عليه، وقد رتّبه مؤلفه على مقدمة ومقصدين وخاتمة لها، فالمقدمة في سَنَد القاموس المحيط، وترجمة مؤلفه، وابتداء العربية، وسبب تغيّرها إلى السريانية، ثم ذِكْر أول من تكلم بالعربية بعد تغيّرها، ثم سبب تغيّر العربية في زمن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وابتداء من صنّف فيها، وابتداء من صنّف في غريب الحديث، وذِكْر المصنّفين فيها أولاً فأول.

وإن صحاح الجوهري في كتب اللغـة كصحيح البخاري في كتب الحديـث، وذِكر النموذج يُعرف به ما أهمله الفيروزآبادي من (الصحاح).

أما القصد الأول: ففي بيان قواعد، إذا اتقنها الناظر لم يَحتَجْ إلى شَكْل ما أَشْكَلَ وما لم يُشْكِل.

وأما المقصد الثاني: ففي ذكر عيوب وقعت في القاموس وذكر جواباتها.

والخاتمة: هي في ذكر ما تعرف به النسخة الأخيرة من القاموس التي هذّبها في اليمن من النســخة الأولى التي لم تُهذَّب، وفي ذكـر ما يحتـاج

طالبَ اللغة من الكتب المعتبرة التي لا يُغني عنها ما يتوهَّمه أهل عصرنا كافياً في اللغة.

صنيع السامرائي:

نشر السامرائي الكتاب على نسختين خطيتين، من أصل أربع نسخ خطية هما نسخة جامع الغربية، ونسخة جامع الشرقية بصنعاء، واشتمل عمله في التحقيق على إخراج نسخة صحيحة كما وضعها صاحبها، وضبْطها بالشكل المفيد، ثم مقابلة النسختين المخطوطتين، وإثبات ما بدا له أنه الأصل، وإثبات خلافه في حواشي الصفحات، ثم تَوْشِيَة النص بالإضافات المفيدة، كالتعريف الموجز بالأعلام الواردة في الكتاب، والإشارة إلى الكتب التي وردت في النص.

* * *

في الأمثال العربية

صدر ضمن دراسات في التراث العربي - سلسلة تصدرها وزارة الإعلام في الكويت، مطبعة حكومة الكويت د. ت، ١٥٣ص، ١٧×٢٤سم.

لعلَّ الأمثال من أصدق الألوان الأدبية في الكشف عن المجتمعات، ولاسيما البَدائيّة منها، ذلك أنها تصوّر البيئة الطبيعية وعلاقة الإنسان بتلك البيئة، وفي الأمثال فوائد جَمَّة يستجْليها الباحثون، وهي تكشف أحوال المجتمعات القديمة، وطرائق تفكيرها وعاداتها ومعايشها.

ويرى السامرائي أنّ المثل العربي قد يكون أدلّ على تصوير الجاهليين من دلالة الشعر على تلك الناحية.

يقول إبراهيم النظام إمام المعتزلة: «يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجازُ اللفظ، وإصابةُ المعنى، وحسنُ التشبيه، وجودةُ الكناية. فهو نهايةُ البلاغة»[1]. وللأمثال أهمية كبيرة في الأدب العربي وتاريخه، وذلك لأن باستطاعة الباحث أن يُشْرِف منها على العصر الذي قيلت فيه دون أن تَغْشَى بحثَه غِشاوةٌ من الشك، فإذا أنكر بعضُ الباحثين صحّة الأدب الجاهلي، فإن الأمثال ضَرْبٌ من الأدب الذي

(١) في الأمثال العربية، ص١٩، نقلاً عن مجمع الأمثال.

لا يرقى إليه الشك، لأنها عبارات قصيرة ترسلها البيئة الشعبية التي انبثق عنها المثل، دون أن تُشَوّهها الأيام والسنون المتعاقبة.

قدّم السامرائي كتابه بمقدمة عن الأمثال وأهميتها لغوياً وتاريخياً واجتماعياً، ثم عرض للأمثال الجاهلية العراقية منها والحجازية، ثم النجدية ثم اليَمانية، ثم مضى إلى الأمثال الإسلامية فالأمثال البدوية، فالأمثال التي اشتركت فيها البادية والحَضَر، ثم انتقل للحديث عن المثل في القرآن الكريم، فالحديث عن المثل واستعمال أفْعَل فيه مثل: أشأم من داحس، أعز من كليب بن وائل، أمنع من عقاب الجو، ورأى أن العرب استعملوا هذا الضرب من المثل في عصورهم المتأخرة، ثم بسط الحديث عن المثل واللغة، وأكّد أنّ اللغة مادة اجتماعية يصنعها الناس في مجتمعاتهم وظروفهم وما تدعوا إليه الحاجة.

والباحث يظفر ـ من خلال الأمثال ـ بقَدْرٍ كبير من اللفظ الذي يوحي إيحاءات خاصة، ممّا يتّصل بعادات القوم وأخلاقهم وتقاليدهم، واستطرد الحديث في الإنسان والحيوان والطبيعة في الأمثال، وانتقل للحديث في الأمثال المولّدة، ورأى أنّ أكثر ما يكون للمأثور من الأقوال المستحسنة، ممّا يقذف به أهل الرأي والحكمة وأضْرَابُهم، وأتبعه بطائفة من أمثال المُولدين، وختم الحديث عن بلاغة الأمثال.

* * *

في التعريب والمعرَّب

وهو المعروف
بـ (حاشية ابن بري على كتاب المعرَّب لابن الجواليقي)

عُني بإخراجه والتقديم له والتعليق عليه الدكتور إبراهيم السامرائي. مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ١٨٠ص، ١٧×٢٤سم.

وهو مُصَنّفٌ عرض فيه ابن بَريّ لكتاب (المعرّب) للجواليقي، فتعقّب أقواله فأورد حواشيه عليها مَنْسُوقةً على حروف المعجم، وقد دَرَج في هذه الحواشي على إيراد قول ابن الجواليقي، ثم التعقيب بكلامه هو، مصححاً تارة في اشتقاق الكلمة، وما جاء في أصلها وما قيل فيها، ومضيفاً تارة أخرى فوائد ليست تصحيحاً.

لقد قدم لهذه الحواشي بنُبْذَة في طرائق التعريب عند العرب، وكيف تصرّفوا في الكَلِم الأعجمي، ولعل قيمة هذه الحواشي تتجلى في أنها تتّصل بكتاب المعرّب للجواليقي، وهو أشهر كتاب في هذا الباب في العربية، ومن أوائل ما صنّف في المُعَرَّبات، وكأن ابن بري أدرك قيمة المعرب والحُظْوة التي حَظِي بها لدى الدارسين، فأراد أن يتناوله ناقداً ومصححاً ومستدركاً.

عمل السامرائي:

علّق السامرائي في الهوامش تعليقات لغوية وغير لغوية مما يقتضي

الأمر، كالتعريف بالأعلام غير المشهورة، وما حصره بين معقوفتين فهو زيادة منه مما وجده في المصادر والمراجع.

* * *

في الصناعة المُعْجَمِيّة

دار الفكر - عمّان، ١٤١٩هـ = ١٩٩٨م،
٧٠٨ص، ١٧×٢٤سم.

يحوي هذا الكتاب فُصولاً في تصحيح معاجم أُلّفت قديماً وحديثاً، بعضها للمؤلف وبعضها للمحقق في الكتب المحققّة. أما الكتب المؤلفة حديثاً فالتصحيحات كلها للمؤلف.

تناول أولاً كتاب (مجمل اللغة) لابن فارس، فصحّح بعض ما فيه، ووصف عمله بأنه ثمرة فجّة، دفع إليها تعجُّلُه، وأشار إلى تقصيره في منهجه، واضطّرابه في صُنْعَته، وتناول تحقيق الدكتور هادي حسن حمودي للكتاب، و كتب عليه (١٢٤٢) ملحوظة ص٩ - ٢٥٧، وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، وكتب عليه (٦٣٩) ملحوظة، ص ٢٦٠ - ٤٠٢ وأبان بأن المُحقِّقَيْن لم يُوفَّقا في التحقيق. ويقول السامرائي: إن صنعة زهير سلطان فاقَت ما قام به الدكتور هادي حمودي. أما بقية الكتب التي تناولها بالنقد والتصحيح:

(الغريب المصنف) لأبي عبيد القاسم بن سلاّم تحقيق محمد المختار العبيدي، ص٤٠٦ - ٤٦٧ . وتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب.

(الموسوعة[1] العربية في الألفاظ الضدية والشذرات اللغوية

---

(١) قال السامرائي: «أول من جاء بالموسوعة الشيخ إبراهيم اليازجي مستفيداً هذه التسمية مما استعمله طاشكبري زاده في كتابه (موضوعات العلوم)، وكأنّ اليازجي صحّف (موضوعات) فصارت (موسوعات). وقرأت حاشية في فهارس=

لمحمد بن محمد السماوي اليماني)، ص ٤٨١ ـ ٤٨٩ .

(التوقيف على مهمات التعاريف) لمحمد عبد الرؤوف المُنَاوي تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية .

(أمثال الحديث للرامهرمزي) تحقيق الدكتور عبد العلي الأعظمي ، كتب (٣٩) وِقْفة على قول المؤلف والمحقق .

(الشامل، معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها) لمحمد سعيد إسبر وبلال جنيدي . وكتب عليه (١٧) وقفة .

(قاموس الإعراب) لجرجس عيسى الأسمر، سجل فيه (١٩) ملحوظة، وأبان أنّ المؤلف استبعد لغة التنزيل من شواهده، فلم يرد من ذلك إلا أقل من عشرة مواضع، ولم ينص فيها على أنها قرآن، وهذا بعض ما دأب عليه المؤلفون غير المسلمين مثل لويس شيخو ولويس المعلوف وغيرهما، مع أن المؤلف استشهد بشعر المعاصرين كشوقي وحافظ والمهجريين وغيرهم .

وأقولُ : وهذا بعض ما دأب عليه بعض المعاصرين كأحمد قبش في كتابه (الكامل في النحو والصرف والإعراب) .

(قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية) تأليف الدكتور إميل يعقوب، والدكتور بسام بركة ومي شيخاني . أورد السامرائي من وقفاته

= كتاب الأصول في النحو للدكتور محمود الطناحي ص١٠ جاء فيها : (. . . وقد حدثني الأستاذ الكبير سعيد الأفغاني أن أول من استعمل هذه الكلمة إبراهيم اليازجي المتوفى سنة ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م، لكنه استعملها (موضوعة) بالضاد المعجمة، فجمعها عمال المطبعة (موسوعة) بالسين المهملة فتركت وشاعت) .
قلت : وضع لها الأب أنستاس الكرملي اسم (المَعْلَمة)، ووضع لها الدكتور مصطفى جواد (دائرة المعارف) ووضع لها العلاّمة محمود محمد شاكر (الجَمْهرة) .

عليه خمسين وِقْفة، اجتزأ بها عن كثيرٍ غيرها.

(المعجم الأدبي لجبور عبد النور) أوجز وأغضى، ولم يورد سوى (٤١) وِقْفة.

(معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية؛ القديم منها والمولّد) و(قاموس المصطلحات والتعابير الشعبية ـ معجم لهجي تأصيلي فولكلوري) كلاهما لأحمد أبي سعد. عَرَض لهما، ووقف في موادهما وِقْفات لم يخض فيها طويلاً.

(معجم المصطلحات العلمية العربية، الكندي، والفارابي، والخوارزمي، وابن سينا، والغزالي) للدكتور فائز الداية.

(موسوعة النحو والصرف والإعراب) للدكتور إميل بديع يعقوب، ونقد السامرائي عَمَله نقداً شديداً.

(معجم الأخطاء الشائعة) لمحمد العدناني. وقف فيه السامرائي وقفات خاصة بلغت (٤٣) وقفة.

(المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها) تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب، بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، كَتَب إلمامة موجزة بهذا المعجم، عَرَض فيها لما ورد في المقدمة الطويلة، وأتبعها بوِقْفات على الأحرف الثلاثة: الهمزة والباء والتاء بلغت (١١١) وقفة، ولو واصل المسيرة لكان له من ذلك كتابٌ برأسه.

(معجم أسماء العرب ـ موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب)[١] اجتمع على هذا العمل نحو مئة من العاملين من البلاد العربية. كان

---

(١) وهو يشتمل على (٩٩٤٠) مدخلاً تضم (١٨٥٠٩) أسماء تمثل في مجموعها أكثر أسماء الناس شيوعاً في العالم العربي مع بيان بدرجة شيوعها...

للسامرائي فيه وِقْفَات هي تعليقات وتصحيحات، وفوائد أخرى لم يجمعها كلها، ولو جمعها لكان له كتب يكاد أن يكون نظيراً لمجلد من مجلدات المعجم.

قلت: وممن تعرض لهذا المعجم بالنقد العلاّمة الشيخ حمد الجاسر الذي أُبعد عن هذا العمل، وهو صاحب العِلم المستطيل في الأعلام والأنساب (وهل يفتى ومالك في المدينة).

* * *

في اللهجات العربية القديمة

دار الحداثة - بيروت ١٩٩٤، ١٩٤ص، ١٧×٢٤سم.

كتاب عرض فيه لجملة لغات خاصة، توسّم فيها السعة والشهرة، وهي الحجاز، وتميم، ولغات اليمن وهذيل وهوازن.

واللهجات على ما درج عليه المعاصرون في الكلام هي البقايا اللغوية التي تتصل بلغات القبائل. فقد آثر المعاصرون مصطلح (اللهجة) و(اللهجات) على ما أسماه أهل اللغة من القدامى (لغة)، فقول الأقدمين على لغة هُذَيل، أو عَقيل، أو لغة الأزد، ونحو ذلك، يتناول مواد لغوية بعينها كقولهم: جاء في (هيهات) ست وثلاثون لغة، وقولهم في اختلاف أهل الحجاز عن بني تميم في (أمس)... وهذا مبسوط في كتب النحو القديمة.

عرض للغة أهل الحجاز في معارضتها للغة تميم وغيرها، وانتقل للحديث في لغات اليمن، وأراد بها ما حفِظَته لنا مصادر اللغة العربية من (عربية) اليمن تلك (العربية) التي كانت لها سمات خاصة، وهذا ما دعاه المعاصرون بـ(اللهجات) وأفاض في الحديث فيها ص٧٤ - ١٤٣ وختمه بما ورد من لغة اليمن في الحديث النبوي الشريف معتمداً كتاب (النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير. ثم تابع حديثه عن لغة هُذَيل، وأورد ما جاء من لغتها في كتاب (لسان العرب) ثم عرض بإيجاز للغة هوازن.

وخلص إلى أن التراث الذي يتصل باللغات مما ندعوها في عصرنا بـ (اللهجات) علم لا نستطيع بيُسر أن نُصنّفه ونعزُوه إلى قبيلة بعينها، ولنا أن نقول: إنّ في ذلك تراثاً لغوياً حَضَرياً يتصل بالحواضر، وتراثاً بدوياً يتصل بالتجمعات البدوية، وليس لنا أن نقول: إن هذا تميمي خالص، فكثير مما ينسب إلى تميم، يكون لقيس وأسد في الوقت نفسه، وليس لنا أن نحمل ما يُعْزَى إلى الحجاز فنقول: إنه حضري منقطع الحضارة، ذلك أن شيئاً مما هو حجازي قد يكون بدوياً.

* * *

في مجلس أبي الطيب المتنبي

دار الجيل ـ بيروت، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م،
١٦٨ص، ١٧×٢٤سم.

السامرائي ليس أوَّلَ من أُعجب بشعر المتنبي وليس آخِرَهم، فقد حفظ شعْرَه، وأُعجب به كثيرون جداً من قُدماء وعَصْريّين يردّدون أشعارَه معجبين بها ويطربون لها، مستشهدين بما ورد فيها من قيل مأثور، أُدرج في باب الفكر والرأي والحكمة، وقدَّموه على غيره ممّن عاصَرَهم وممّن سبَقَهم أو جاء بعدهم.

وكان للسامرائي عودة إلى شعر المتنبي باحثاً يتفقّد فيه حاجة تقيم صلة جديدة، ليست صداقة ولا عداوة، ولكنها صلة الإنسان بالإنسان، يعاشره فتنعقد بينهما وشيجةُ رَحْمٍ مادتها الإنسان، وجعل هذه قائمة يسأل فيها أبا الطيب مستحضراً ما قاله في شعره، فيلتَمِس الجواب فيه، وكانت هذه الصلة في مجالس يحضرها أبو الندى، وعددها خمسة عشر مجلساً، يتلو شعر المتنبي، والسامرائي يسمع ويسأل أبا الطيب فينعقد الحِوار، وقد يكون الأمر في غير حِوار، فيبدي أحدهم ما يراه، ويعرضه إلى صاحبه بين يدي أبي الطيب، فإمّا أن يوافق أبو الطيب على ما رآه السامرائي وأبو الندى، وإما أن يكون منه موقف خاص.

وأبو الندى محدّث اصطفاه السامرائي يخاطبه ويحاوره، ويقول على لسانه ما يريد أن يقوله، ويُثْبِتُ من قوله ما عساه أن يكون تصديقاً أو رداً لما يقول.

وهذا الكتاب طريف ممتع لا يَمَلُّه قارئه.

* * *

في المصطلح الإسلامي

دار الحداثة ـ بيروت ١٩٩٠م، ٢٣١ص، ١٤×٢٠سم.

يضم هذا الكتاب عدة أبحاث في المصطلح الإسلامي:

الأول: من ألفاظ القرآن الكريم، وهو بحث في المصطلحات الإسلامية في القرآن الكريم، وحَرَص السامرائيّ على بيان المعنى اللغوي الأصلي، والمعنى الاصطلاحي لكل مصطلح استخرجه من القرآن الكريم.

الثاني: في المصطلح الإسلامي وهو عنوان الكتاب، وفي هذا البحث حديث في المصطلحات الإسلامية في طائفة من المصادر، رتّبها المؤلف ترتيباً هجائياً، وذكر المصطلحات الواردة في كل مصدر منها مستقلاً عما ورد في المصادر الأخرى، مرتّباً المصادر ترتيباً زمنياً، وهي: (الأشباه والنظائر في القرآن الكريم) لمقاتل بن سليمان، و(الزينة في الكلمات الإسلامية العربية) لأبي حاتم الرازي، و(اشتقاق أسماء الله) للزجاجي. و(المفردات في غريب القرآن (للراغب الأصفهاني، و(التعريفات للشريف) الجرجاني، و(بصائر ذوي التمييز) للفيروز آبادي، و(المزهر) للسيوطي، و(كشّاف اصطلاحات الفنون) للتّهانَوي.

الثالث: من مصطلح الحديث الشريف، جمع فيه نحو تسعين مصطلحاً في الحديث، رتّبها على حروف الهجاء، مُغْفِلاً المصطلحات الحديثة المشهورة جداً مثل: المتواتر، الصحيح.

الرابع: المصطلح لدى الفِرَق الإسلامية، حَفَلت الفرق الإسلامية بمصطلحها الخاص، ورجع المؤلف إلى مصادر تلك الفرق، وجمع ما توفّر له منها ورتّبها على حروف المعجم.

الخامس: من المصطلح النحوي، عَرَض لطائفة من المصطلحات النحوية رتّبها ترتيب المعجم.

السادس: من المصطلح القديم في العلوم، وفيه عرض لكتاب مفتاح العلوم للخُوَارزمي.

* * *

كتاب العين

للخليل بن أحمد الفراهيدي

تحقيق الدكتور مهدي المخزومي
والدكتور إبراهيم السامرائي

وزارة الثقافة والإعلام - بغداد ١٩٨٠ - ١٩٨٤م، ٨ أجزاء، ١٧×٢٤سم، الأول ٣٨٢ص، الثاني ٣٦٨ص، الثالث ٤٤٠ص، الرابع ٤٧٣ص، الخامس ٤٦٤ص، السادس ٣٢٦ص، السابع ٤٩٦ص، الثامن ٤٨٦ص.

هذا المعجم الذي قيل إن الخليل وضعه، وهو أول من جمع اللغة أو جمعها في معجم باتفاق جُلِّ العلماء، وقد رُتِّبت فيه الألفاظ بحسب مخارج الحروف، مع مراعاة أوائل الأصول، فكلمة (عقد) في باب العين وخلف في باب الخاء، ولم يرتب المؤلف أبواب كتابه بحسب الترتيب الهجائي المعروف أ ب ت . . بل بحسب ترتيب مخارج الحروف، فبدأ بحروف الحلق فاللسان فالأسنان فالشفتين. . . إلخ.

وختم كتابه بحروف العِلَّة مما أدّى إلى جعل ترتيب الكتاب على الشكل التالي: (ع - ح - هـ - خ - غ - ق - ك - ج - ش - ض - ص - س - ز - ط - د - ت - ظ - ذ - ث - ر - ل - ن - ف - ب - م - و - ا - ي). كما أنه اتّبع الطريقة نَفْسَها في ترتيب مفردات كل باب على حِدَة، فلفظ عقل في باب

العين قبل عقف، وهذه اللفظة قبل عقب، وهذه الأخيرة قبل عكر وهكذا . . وقد بدأ الخليل بحرف العين، لأنه من أقصى حروف الحلق وإن لم يكن أقصاها، وباسم باب العين الذي هو الجزء الأول من المعجم سمّي الكتابُ كلُّه.

ويرى بعض علماء العربية أن الخليل لم يكن إلا صاحب فكرة المعجم ومبتدع طريقة ترتيبه، أما تنفيذ الفكرة فمن عمل الليث بن المظفر، أحد أصحاب الخليل. وليس من المستبعد أن يكون الخليل صاحب الفكرة والتصميم وواضع الجزء الأول من الكتاب، وأن يكون الليث أو سواه متمّم الكتاب، فإن كثيراً من العلماء الثقات، كابن جِنِّي والقالي رأوا في كتاب العين من الفساد والتخليط ما لا يعقل صدور مثله عن مثل الخليل.

منهجهما في التحقيق:

١ ـ اعتمد المحققان نسخة السيد حسن الصدر فجعلاها أصلاً لأنها أقدم النسخ التي وصلت إلينا، وكتبت عام ١٠٥٤هـ، أما النسختان الأُخريان، فهما نسخة المتحف العراقي، ونسخة طهران، واعتمدا في ضبط النص بعد التحقيق والمقابلة بين النسخ الثلاث على كتب اللغة، والمعجمات المحقّقة المطبوعة، ولاسيما المعجمات الآخذة عن العين، المقْتبِسة لنصوصه، المحتفظة بألفاظه وعباراته، وفي مقدمتها (تهذيب اللغة) للأزهري، و(المُحْكَم) لابن سِيدَه.

٢ ـ حاولا التقليل من الحواشي.

٣ ـ خرّجا معظم الشواهد من الشعر، واكتفيا بالإشارة إلى رواية الديوان، أو مصدر واحد من المصادر القديمة المحققة.

٤ ـ ضَبَطا الآيات الكريمة بالشكل، وأشارا إلى سورها، وخرّجا الأحاديث من كتب الصحاح، ومن كتب اللغة المعتمدة.

٥ ـ رأيا في ترتيب المفردات داخل أبوابها اضطراباً وخروجاً عن النظام الذي وضعه الخليل، واحتذاه فيه الدارسون، الذين نَهَجوا على نَهْجه في معجماتهم، وليس من المقبول البتّة أن تلتزم هذه المعجمات بنظام الخليل الدقيق، ولا يلتزم به (العين) كتاب الخليل، فأرجعاها إلى الترتيب الأصيل، لينسجم الكتاب في ترتيب مفرداته مع ما اختطّه الخليل وما سار عليه القالي، والأزهري، وابن سيده، وغيرهم، فحين يكون الباب مثلاً: باب العين والضاد والباء تكون الكلمة الأولى التي يترجم لها هي كلمة (عضب) ثم يليها مقلوبها، وهكذا، فإذا لم تكن الكلمة الأولى التي انعقد عليها الباب مستعملة فإن ما يليها من مقلوباتها أحق بتصدُّر الباب.

ويقولان: «ولكن الذي في النسخ في الغالب غير هذا، وقد شاع فيها الاضطراب في ترتيب مفردات المجموعة الواحدة، ونظن ذلك من عبث النسّاخ، ولنا من الترتيب الذي قام عليه مختصر العين للزبيدي قدوة، بل نظن ظناً أنه الترتيب الأصيل الذي كان عليه كتاب العين قبل أن يَمْسَخه الزَّبيدي باختصاره».

٦ ـ وضعا ما اقتضى السياق زيادته بين معقوفتين: [] وما رأيا تقويمه بين زاويتين: < >وأشارا في الهامش إلى الأصل الذي استبدلا منه، ولم يكن هذا كثيراً بل في مواضع يسيرة.

٧ـ قصدا إلى تيسير الرجوع إلى الكتاب، فرسما للدارس في المقدمة طريق الوصول إلى كلماته، وعزّزا ذلك بوضع فهرس للكلمات المترجم لها في كل جزء، مرتّبة بحسب أوائلها على ترتيب الحروف المعجمة، أ ـ ب ـ ت ـ ث . . . لشَياعِه، وعلم الدارسين به، ووُضع بإزاء كل كلمة رقم الصفحة التي هي فيها.

* * *

كتاب الكُتّاب لابن دُرُسْتَوَيْه

تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي
والدكتور عبد الحسين الفتلي

دار عمّار ـ عمّان ١٤١٢هـ = ١٩٩٢م،
١٦٧ص، ١٧×٢٤سم.

هذا الكتاب عل مِنْوال (أدب الكاتب) لابن قتيبة، و(أدب الكتّاب) للصُّولي، واشتمل على مسائل تتصل بالرسم وهي:

١ ـ باب الهمز وطريقة رسمه.

٢ ـ باب المد وأحواله.

٣ ـ باب القصر وأحواله.

٤ ـ باب الفصل والوصل، وهو يَعرِض لما يوصل من الكلم الذي على حرف واحد بما بعده، لأنه لا ينفرد، وما يوصل منها بـ (ما) وما يفصل عنها، وما يوصل من الحرف بـ(ها) وما يفصل عنها، ونحو هذا مما يؤلف أحد عشر فصلاً.

٥ ـ باب الحذف، وهو عشرة فصول كحذف المدغم من الخط اتباعاً للفظ، وحذف غير المدغم لاجتماع الأشباه إلى آخره.

٦ ـ باب الزيادة، وهو أربعة فصول، ويبحث في شروط الزيادة وعِلَلِها، ومنها زيادة الألف والهاء والواو.

٧ ـ **باب البدل**، وفيه خمسة فصول، ويبحث في شروط البدل وعِلَلِه، ومنه بدل الهاء والألف والواو والياء.

٨ ـ **باب النَّقْط**، وهو ستة فصول ويبحث في شروط النَّقْط وعِلّته.

٩ ـ **باب الشكل**، وفيه ثلاثة فصول، ويبحث في شروط الشكل وعِلّته، وماهو صُور للحركات والسكون، وماهو زيادة للفروق يُؤتَى بها.

١٠ ـ **باب القوافي**، وفيه خمسة فصول، ويبحث في شرط كتاب القوافي، والفواصل، والمقيَّد، والمطْلَق المنصوب، والمطلق غير المنصوب.

١١ ـ **باب رسوم خطوط الكتب**، وفيه خمسة عشر فصلاً، ويبحث في جملة عدد الحروف وهيئتها، واختلاف صورها، وألفاظها ومعرفة رسومها.

١٢ ـ **باب ما أُلحق بالهجاء وليس منه**، وهو ستة وعشرون فصلاً، ويبحث في الغرض مما ضمن فصول هذا الكتاب، وما تُفْتَحُ به الكُتُب، وما تُصدّر وما تُردف، ومعنى التاريخ وكتابته، وهو يتضمن فوائد تتصل بطرائق الفصحاء في كتابة التاريخ، وفوائد تتصل بالعدد وتأنيثه وتذكيره، وتفسير أسماء الأيام والشهور، ويعرض لبرِي القلم وسنّه وقَطّه وفوائد تتصل بالدَّواة والمِدَاد.

* * *

كتاب النخل
لأبي حاتم السِّجِسْتَاني

حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور إبراهيم السامرائي

دار اللواء ـ الرياض، مؤسسة الرسالة ـ بيـروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م، ١٦١ص، ١٧×٢٤سم. المقدمة ٣٠ص، النص ص٣١ ـ ١٠٧، معجم بألفاظ النخل ومايتصل بها مما ورد في الكتاب ص١٠٩ ـ ١٤٢.

هذا الكتاب يتصل بـ (النخلة) وصفتِها وأحوالِها وحَمْلِها، وما يكون للرُّطَب والتّمر والبَلَح والخُلال، ثم ما يكون من شأن هذا الزرع، وهذا الضَّرْب من الفِلاحة، وهو كتاب لغة، ويشتمل على طرائف أدبية تتصل بالرَّجَز والشواهد الشعرية ممّا قاله شعراء الجاهلية والشعراء المخضرمون وغيرهم، وفيه مما يتصل بهذه الشواهد الأدبية، فوائدُ تاريخيةٌ ذاتُ قيمة أدبية، ولا تخلو هذه الفوائدُ الأدبيةُ من طرائفَ مما يتصل بما ندعوه في عصرنا بـ (الأدب الشعبي) وهذه النماذج من الأدب الشعبي تظهر في عادات الجاهليين، ونظرتهم إلى النخلة، وإنها شيء من لوازمهم كالناقة وسائر المال، فالنخلة ذات الحمل الوفير قد يَنْفُسُها مَنْ يراها فتُصاب بالعين.

والنخلة وحملها، وميقات الإلقاح والغرس موقوت بالنجوم

كطلوع الشِّعْرَى ونحو ذلك من ممارساتهم، مما يتصل بعلم الفلك وتطبيقاته في الحياة اليومية والعملية.

وفي هذا الكتاب نقف على ألفاظ كثيرة تتصل بالنخل لا نعرفها ولا نجدها في المعجمات المُطَوَّلة، وذلك لأن في الكتاب من نوادر الأعراب الشيء الكثير، وهذا كله يُستدرك به على المعجمات. وقد يفيد منه المختصون بغرس فسيل النخل في عصرنا، لأن فيه من التجارب العملية في طريقة الزرع والسقي وتهيئة الأرض، وما يتصل بالآفات التي تعرض للنخلة.

ومن فوائد الكتاب أنك تجد فيه مكانة النخلة في الحياة الاقتصادية للعرب القُدامى، وذلك لأن النخلة من مصادر الغذاء، ثم ما يفيدونه من النخلة من خُوصِها وسَعْفِها وجَريدها وليفها وجذوعها وجُمَّارها. وفي ذلك كله بيان لقيمة هذه الشجرة المباركة، ولمكانتها في عيشهم، فليس عجيباً أن يأتي في الأثر تمجيد وإعظام لهذه الشجرة التي عظّمها الله في كتابه.

والقارىء يقف في جملة مادة الكتاب على أدب قديم هو أدب النخل، تعرف فيه من صفات النخلة وحملها بَلَحاً وخُلالاً ورُطَباً وتمراً، وما يتصل بألوان التمر وأصنافه الشيء الكثير، وتُدَّخر من ذلك ذخيرة أدبية لغوية طريفة نافعة، ولا ننسى أن في الكتاب فوائد جغرافية مما يتصل بالبلدان والمواضع التي وجد فيها النخل وخصائص تلك البلاد في إفادة هذا الزرع.

عمل السامرائي:

راجع السامرائي نسخته التي نسخها من خزانة الأوقاف ببغداد على الأصل المخطوط بصقلية في إيطالية، وقوّمها، وأشار إلى ما وقع فيه

الناسخ من سهو، وما وقع فيه ناشر المطبوعة الصقلية من أوهام، مثبتاً كل ذلك في الحواشي، وخرّج الآيات والأحاديث والأشعار والأرجاز بقدر ما استطاع أن يهتدي إليه، ثم عرّف بالرجال من أصحاب السند، وبالشعراء وغيرهم ممن أفاد منهم المؤلف كالأعراب مثلاً. وجملة التعليقات التي أضافها في الحواشي تضيء النص، وتعين على فَهْمِه.

وألحَق بهذا الكتاب معجماً صغيراً بألفاظ النخل، وفي ذلك فائدة أيّ فائدة، لأن طائفة من معاني هذه الألفاظ مما افتقرت إليه مطولات المعاجم، وعددها (٢٩٩) لفظة، وسبق ذلك كله مقدمة تحدث فيها عن سيرة المؤلف، وقيمة الكتاب وقصته مع الكتاب وتحقيقه.

* * *

كشف النِّقاب

عن الأسماء والألقاب

للإمام الحافظ ابن الجَوْزي

تقديم وتحقيق وتعليق إبراهيم السامرائي

دار الجيل - بيروت ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م،
٢١٤ص، ١٧×٢٤سم.

لقد عرض لأسماء الرجال والنساء وألقابهم جَمْهَرَة من الدارسين، وكان من أوائل هؤلاء اللغويون الذين بحثوا في أصول الأسماء، ثم انصرف بعد هؤلاء المؤرّخون والمحدّثون، فصنّفوا كتباً في الأسماء التاريخية وكُناهم وألقابهم، وقد كان لنا من جملة ما صنعه أولئك اللغويون والمؤرخون والمحدثون وغيرهم إرثٌ واف.

وكان من عنايتهم في هذا الباب أن فَطِنوا إلى ما أسموه (المُؤتَلف والمختلف) إلى شيء آخر هو (المُشْتَبَه) من أسماء الرجال، وقد ألّفت جملة هذه المواد أبواباً في الدرس التاريخي في علوم المسلمين، ومن هنا كانت كتب الطبقات للقرّاء، والمحدّثين، واللغويين، والنحاة، والشعراء وغيرهم.

وهذا الكتاب من جملة هذه المصنفات الخاصة التي عَرَضت لهذا الفن من علم الرجال، وكان ابن الجوزي من المتقدمين الذين صنّفوا في (الأسماء والألقاب) وكتابه هذا كان من مصادر المتأخّرين، ومنهم

الحافظ ابن حَجَر الذي كان له الجهد العظيم في هذا الباب .

وهذا الكتاب قد جعله ابن الجوزي على وَفْق حروف المعجم، فهو يَدْرُج اللقب الذي أوله همزة في باب الهمزة، فيثبت اسم صاحب اللقب وفوائد أخرى موجزة، حتى إذا انتهى من باب الهمزة أعقبه بباب الباء وهكذا كان عمله في سائر الأبواب .

وقد اعتمد السامرائي في تحقيقه على مخطوطة الكتاب الوحيدة ـ كما ذكر ـ وهي من مخطوطات خزانة لَيْدن بهولندة .

* * *

لغة الشعر بين جيلين

المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨٠، ٢٤٨ص، ١٤×٢٠سم.

اللغة مادة الشعر وجوهره، وهي من هنا أصواتٌ ومعانٍ، وهذا يعني أن الدّلالة واللفظ مادة واحدة قبل أن يكونا صِنْوَين، ينفرد كل منهما عن الآخر.

وهذا الكتاب نمط من البحث اللغوي اتخذ فيه المؤلف الشعر مادة له، ذلك أن للشعر لغة خاصة به تبتعد عن لغة النثر، وعَمَد السامرائي إلى درس نماذج لشعراء عاشوا في هذا العصر، ليتبيّن لغة كُلٍّ منهم، والقدر الذي استجابت فيه تلك اللغة لأغراض الشعر، وهي نماذج يرجو المؤلف أن تكون جامعة للقديم والجديد من الشعر الحديث.

وعرض المؤلف إلى اللغة في شعر الشعراء العراقيين المعاصرين وهم عبد المحسن الكاظمي، وجميل صدقي الزهاوي، ومحمد رضا الشبيبي، ومعروف الرصافي، وأحمد الصافي النجفي، ومحمد بهجة الأثري، وعلي الشرقي، ومحمد مهدي الجواهري، وبلند الحيدري، ونازك الملائكة، وبدر شاكر السياب، الذين تم اختيارهم عن قصد ودرس، وحاول أن يكون في درْسهم شيء من الاستيفاء للشعر العراقي الحديث في مختلف نوازعه ومناهجه.

* * *

لفيف وأشتات

أحاديث في الأدب واللغة والفن والتاريخ

الهيئة العامة للكتاب ـ صنعاء ١٩٩٨م،
٢١٥ص، ١٧×٢٤سم.

هذه الأحاديث أشتاتٌ أراد لها السامرائي أن تأتَلِفَ وتكون لفيفاً، وقد جعلها على لسان محدِّث اصطفاه هو أبو النَّدى، يخاطبه ويحاوره ويقول على لسانه ما يريد أن يقوله، وأثبت من هذا القول ما عساه أن يكون تصديقاً أو رداً لما يقول، وكان من ذلك أحاديث وحوارات عَرَضت لشؤون مختلفة في اللغة والأدب والتاريخ، وما يتصل بها من قريب أو بعيد من حديث أبي الندى في قوله: (حدَّث أبو الندى).

فهذا الكتاب قُطوفٌ أدبية دانية مَسوقةٌ مَساق المُسامرات، على نحو ما كان من أبي حيان في (الإمتاع والمؤانسة)، أو ما كان من القاضي النعمان في (المجالس والمسايرات) تجود بها قريحة صافية، ويسطّرها قلم صَناع، ويمضي بها رَهْواً في نَسْق نَضيد، وينتقل فيها في روض زاهر بين قديم وجديد، وهذا الكتاب خير نموذج على بيان السامرائي العالي.

وهذا الأسلوب الحواري يقيم جسوراً بين ماضي الأمة وحاضرها، وبين أساليب عربية مشرقة وصلت إلى ذروتها ثم تراجعت، وأساليب تحاول الوصول إلى ذروة مماثلة.

وقارئ الكتاب يجد فيه حديثاً ممتعاً بليغاً عن مرارة الاغتراب والحنين إلى الوطن ومواجهة الخُطوب، وعن الجوائز التي تمنح لغير مستحقّيها، وعن الشعر الحديث الذي قطع بيننا وبين ما كان لنا من أنفاس

إنسانية عاطرة، ولم يحفظه قائلوه الذي يَشْمَخون به عن ظَهر قلب، وليس لهم أن يستظهروا منه شيئاً، وهو شعر مريض يحاول أن يتقوّى بسخيف الألفاظ، وغريب التعابير، وغامض المعاني.

وفيه تصحيحات لغوية، وحديث عن الغناء التافه الذي يحمل لسامعه السَّأَم، ثم يُثقله لونٌ تافهٌ من اللحن، فإذا هو كشارب الماء المالح، لا يزيد شارَبه إلا ظمأ، وفيه حديث عن الألقاب العلمية وكأن في لقب (الدكتور) سحراً لا نجده في ألقابنا العربية، فإن لم يكن ذلك، فكيف نفسر عدول مشايخ الأزهر عن لقب الشيخ أوالعالم، وهروعهم إلى لقب الدكتور؟!.

* * *

المجموع اللفيف

معجم في المواد اللغوية التاريخية الحضارية

دار عمّار - عمّان ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م،
٢٠٨ص، ١٧×٢٤سم

في هذا الكتاب طُرَفٌ في اللغة والأدب والتاريخ، استقاها من جولات له في بعض الكتب ككتاب (الفَرَج بعد الشِّدَّة)، و(نشوار المحاضرة) كلاهما للتنوخي، و(الديارات) للشابشتي، و(الاعتبار) لأسامة بن منقذ، و(التاريخ الغياثي) للغياث، و(التاريخ المنصوري) لمحمد بن علي الحَمَوي.

وفيه أشياء مما يتصل بتطوّر الدّلالة في كثير من مواد العربية، وفي المواد التي أوردها أنماط من العامية الدارجة، وفي ذلك فائدة يفيدها الدارسون في اللغة التاريخية.

ويتسم هذا الكتاب بسمة هي أنه على غير طريقة الكتب التي تعرِض لموضوع واحد، فيعرض فيه مؤلفه أبواباً وفصولاً، وعلى غير طريقة المعجمات التي ينبغي فيها أن تخضع لنظام في التأليف والتصنيف، وقد حوى الكتاب (٦١٥) مادة غير مرتَّبة ترتيب المعجم.

* * *

المدارس النَّحْوِيّـة

أسطورة وواقع

دار الفكـــر ـ عمّـــان ١٩٨٧، ١٨٥ص، ١٧×٢٤سم.

حلا للدارسين في عصرنا كلمة (المدرسة) فذهبوا بها مذهباً قد لا يرضي العلم، والمدرسة كلمة تاريخية استعملها المسلمون في عصور حضارتهم، فكان من ذلك المدرسة النّظامية، والمدرسـة المُسْتَنْصِريّة ببغداد، ومدارس بلاد الشام ومصر، وسـائر البلاد الإسـلامية، وهذه المدارس مدارس حقيقيـة، ينتسب إليها طلاب العلم، فيدرسـون العلوم المختلفة، ثم جاء العصر الحديث، فصار العرب يتطلّعون إلى ما عند الغربيين من علوم ومعارف، وقد وجدوا أن الغربيين تجاوزوا في استعمال المدرسة المألوف المعروف، فكانت لديهم مثلاً المدرسة الكلاسيكية في الأدب والفن، والمدرسة الرومانتيكية والمدرسة الرمزية وغير هذا.

وهذا كتـاب وضعه السامرائي، لأنه رأى المعاصرين قـد غَلَوا في إطـلاق مصطلح (المدرسة) في الكلام على الاختـلاف بين البصرييـن والكوفيين، ووقفه على هذه المسألة من الخلاف النحوي القديم، الذي لم يكن شيئاً كبيراً يخوّلنا ـ في رأيه ـ أن نقول فيه (المدارس النحوية) وبدا له أن الاختلاف بين البصريين والكوفيين كالاختلاف بين بصري وبصري، وبين كوفي وكوفي في بعض الأحيان، فلقد وافق جماعة من البصريين

الكوفيين في بعض مسائلهم، كما وافق غيرُ واحد من الكوفيين البصريين فيما ذهبوا إليه. ثم إن مواد الاختلاف تتصل بالفروع من الدرس النحوي كما بسط ذلك في هذا الكتاب، وإن مواد كثيرة مما اختلفوا فيه لا تتصل بالنحو بل هي فوائد لغوية تتصل بأصول اللغة، وبالاشتقاق وباستعمال الكلمة في أسلوبٍ ما.

وأبان السامرائي أن القدماء لم يطلقوا على مسائل الخلاف في النحو القديم كلمة (مدرسة)، ولم يؤثر عنهم مصطلح (المدرسة البصرية) ولا مصطلح (المدرسة الكوفية)، ولكننا كنا نقرأ من قولهم: مذهب البصريين ومذهب الكوفيين، وربما ورد في قولهم: مذهب الأخفش، ومذهب الفرَّاء وغير ذلك، غير أن المعاصرين استحسنوا لفظة (المدرسة) فاستعاروها في مادة الخلاف النحوي كما استعاروها في مسائل أدبية وكأنهم استعاروها من الغربيين.

وحين ينظر الباحث في التراث النحوي، لا يجد جَمْهَرة النحاة بصريين وكوفيين وغيرهم، قد اختلفوا في أصول هذا العلم، ولم ينطلق هؤلاء من أفكار متعارضة، ولكنهم اختلفوا في مسائل فرعيّة تتصل بالتعليل والتأويل، ولا تعْدمُ أن تجد بصرياً قد وافق الكوفيين، وكذلك العكس، والخلاصة أن السامرائي ينكر أن تكون هناك مدارس نحوية.

* * *

المُرَصّع

في الآباء والأمَّهات والبنين والبنات والأذواء والأذوات

تأليف مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير
المتوفى سنة ٦٠٦هـ

تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي. دار الجيل ـ بيروت، دار عمَّار ـ عمّان، ١٤١١هـ = ١٩٩١م، ٣٦٧ص، ١٧×٢٤سم، المقدمة ٢٨ص، النص ص٢٩ ـ ٣١٣، المراجع ص٣١٤ـ٣١٨، الفهارس ص٣١٩ـ٣٦٧.

هذا الكتاب نَمَطٌ طريفٌ من التأليف المعجمي، يشتمل على مادة لغوية وأدبية، تتصل بتاريخ العربية منذ أقدم عصورها، وهو معجم خاص من المعجمات التي عَقَدها أصحابها على (المعاني)، ثم إنه خاص بين هذه المعجمات الخاصة. فهو يتناول الأسماء التي صُدّرت بـ(أب) و(ابن) و(بنت) و(ذو) و(ذات)، ومن أجل ذلك سمّاه المؤلف بـ (المرصع)، وكان ابن الأثير أحد الذين شاركوا في هذا اللون من العلم الذي يتصل بعلم الرجال، كما عرض في سِفْره الممتع لخصوصيات الأعلام مشتملاً على الكُنى التي عبّر عنها بالآباء . . .

والكنى في تاريخ العربية ما زالت مادة تكريم وتبجيل، ومن أجل ذلك خصّوا بها أولادهم بعد الولادة، فصاحبتهم وهم أطفال، حتى إذا درجوا وكبروا وأسنّوا عُرفوا بها.

وقد اشتمل الكتاب على مقدمة، تكلّم فيها المؤلف في الغرض الذي قصد إليه من تصنيفه في هذا الموضوع، ثم قسّم الكتاب على ثلاثة أبواب، كان الأول منها في المقدمات، وفيه فصول عدة، تناول فيها الاسم والشهرة والكُنية، وهذه الفصول تشتمل على فوائد لغوية.

ثم يأتي الباب الثاني وهو مقصود الكتاب وهو مرتب على حروف المعجم ص٤٧ ـ ٢٨٨، وهو عندما يذكر الحرف يبدأ بذكر الآباء: أبو الأبد، أبو الأبرد .. فالأمهات: أم الأبرد ....، فالأبناء: ابن أَبَلّ ... فالبنات: بنات الإبل فالذوات: ذات أبواب وهكذا.

أما الباب الثالث فهو في الأسماء المترادفة على مسمّى واحد من المسميات المذكورة في الباب الثاني. والأسماء المترادفة هي المختلفة الدّالة على معنى يندرج تحت حقيقة واحدة، كالخمر والراح والعقار، فإن المسمى بهذه الأسامي هو المائع المسكر المُعْتَصر من العنب. وهو مرتب ترتيب المعجم.

إن قيمة هذا الكتاب لا تقوم على أنه معجم من معجمات المعاني الخاصة، بل تتجاوز ذلك، فتكشف عن مادة لغوية لا نجدها في كثير من كتب اللغة، ثم إن هذه المادة اللغوية تظهر لنا طريقة العرب الأقدمين في إطلاق العَلَم والشُّهرة، كما تكشف عن نظرتهم إلى أعيان الطبيعة البدوية من حيوان ونبات ومكان وزمان.

ومادة المرصع ـ كما يقول السامرائي ـ لا تخص القارئ المعني باللغة، بل تتجاوز ذلك إلى جَمْهَرة كبيرة من المعنيين بالفكر الإنساني في مراحله المختلفة.

منهج السامرائي في التحقيق:

اعتمد في تحقيق الكتاب على ثلاث نسخ خطية وعلى النسخة

المطبوعة الأوروبية التي طبعت بعناية الألماني (سيبولد) سنة ١٨٩٦م، والنسخ المخطوطة هي نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، ونسخة مكتبة (أستان قدس) بطهران، ونسخة مكتبة (فيض الله) بإستانبول، وقد قابل بين هذه الأصول وأثبت الصحيح، وأشار إلى ما جَانَبَ الصحة في الحواشي، مشيراً إلى ما ورد في كل نسخة من هذه النسخ، ثم زاد النص بشيء من الفوائد اللغوية والأدبية الأخرى، وحقّق الشواهد الشعرية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وقد اتخذ من نسخة أوقاف بغداد أصلاً، فقد قرأها أخو المؤلف وهو عز الدين المعروف بابن الأثير صاحب التاريخ (الكامل)، أما المطبوعة الأوروبية فكثيرة الأخطاء والتصحيف، وقد سقط منها ورقات في مواضع مختلفة، وكتب مقدمة عرّف فيها بالكتاب والمؤلف ومصنفاته، وصنع له فهارس كاشفة.

* * *

مع المصادر في اللغة والأدب

نقد لمراجع اللغة والأدب، ثلاثة أجزاء.
للنشر والتوزيع - عمّان، الجزء الأول
١٤٠٣هـ=١٩٨٣م، ٣٣٥ص ١٧×٢٤سم.

عَرَض التحريف والتصحيف والاشتباه إلى طائفة كثيرة من مصادرنا اللغوية والأدبية منذ عصور عدة، حتى غدا إصلاح النصوص المزالة عن جهتها وحقيقتها مَطْلَباً عسيراً، لا يتصدى له إلا العارفون المطّلعون، وبِسَبب من ذلك انبرى غير واحد من علماء اللغة إلى الكتابة في هذا الباب، وكان أن نُشرت كتب كثيرة، هي مصادرنا في اللغة والأدب والتاريخ وسائر علوم العربية، ولم يتهيأ لكثير من أهل التحقيق أن يَفُوا بالغَرَض، فيُحْكِموا النص إحكاماً قائماً على الصواب والسَّدَاد، فيحفظوا العلم، ويجنّبوا الدارسين الوقوع في الخطأ والوهم.

وفي هذا الكتاب عَرَض السامرائيُّ لجملة من هذه الأصول المصادر التي عَرَض لها الخطأ، فابتعدت عن الصواب، كما عرض لموادّها اللغوية، وما يتصل بهذا من الفوائد الأدبية والتاريخية. ومن غير شك أن مادة هذا الكتاب مشاركة في الحفاظ على تراث هذه الأمة الكريمة.

والكتب التي نقدها السامرائي في الجزء الأول:

١ - كتاب العين للفراهيدي، تحقيق الدكتور عبد الله درويش، ص١٣ - ٤٣.

٢ - ديوان المُثقّب العَبْدي، تحقيق حسن كامل الصَّيْرَفي، ص٤٧ - ٦٢.

٣ ـ التحف والهدايا للخالديَّيَن، تحقيق الدكتور سامي الدهان، ص٦٥ ـ ٨١.

٤ ـ ديوان عمر بن قميئة، تحقيق حسن كامل الصيرفي، ص٨٥ ـ ٩٠.

٥ ـ الفسر، شرح أبي الفتح عثمان بن جني لديوان أبي الطيب، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، ص٩٣ ـ ١٥٥، ونقد الجزء الثاني، ص١٥٩ ـ ١٧٩.

٦ ـ ما ينصرف وما لا ينصرف للزَّجَّاج، تحقيق هدى محمود قراعة، ص١٨٢ ـ ١٨٦.

٧ ـ مختار من كتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبة، تحقيق الأب أغناطيوس عبده خليفة اليسوعي، ص١٨٨ ـ ٢٠٧.

٨ ـ الفرق لثابت بن أبي ثابت، تحقيق محمد الفاسي، ص٢١١ ـ ٢٢٤.

٩ ـ المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور للرقيق القيرواني[1]، اختيار علي نور الدين المسعودي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ص٢٢٧ ـ ٢٤٦.

١٠ ـ افتتاح الدعوة للقاضي النعمان، تحقيق فرحان الدشراوي ص٢٤٩ ـ ٢٦١.

١١ ـ المعجم المساعد للأب أنستاس الكرملي، تحقيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، ص٢٦٥ ـ ٢٨٨.

---

(١) ما نشره أحمد الجندي من (قطب السرور) هو الجزء الأخير من الكتاب، وقد ظن أنه الكتاب كله، وقد نقد نشرته نقداً عالياً أستاذنا اللغوي العلاّمة صبحي البصام، ونشر في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ع٤٨.

١٢ ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة للقِفْطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ص٢٩١ ـ ٣٠١.

١٣ ـ الرسائل المتبادلة بين الكرملي وتيمور، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد وجليل العطية، ص٣٠٥ ـ ٣٢٤.

١٤ ـ ديوان شعر المتلمِّس الضَّبي. تحقيق حسن كامل الصيرفي، ص٣٢٧ ـ ٣٣٤.

* * *

مع المصادر في اللغة والأدب

الجزء الثاني

وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ١٩٨١م،
٢٧٦ص، ١٧×٢٤سم.

هذا الجزء الثاني من الكتاب ضمّنه طائفة من الفصول، عَرَضَ فيه مؤلفه لجملـة صالحة من مصادر اللغـة والأدب، فوقف عليها وِقْفَات طويلة، تناول فيها المادة اللغوية، وما عرض لها مما حمل الضيم عليها، وصحّح ما هو صحيح منها جارٍ على سَنَن العربية، وفي جملة ذلك طائفة من أخبار الأدب القديم شعره ونثره، قوّمه وعرض لما ألمّ به مما لم يفطن له المحققون. وجِماع هذه المواد اللغوية والأدبية تؤلّف عَرْضاً تاريخياً لحال العربية في ماضيها وحاضرها.

أما الكتب التي نقدها السامرائي فهي:

١ـ التعليقـات والنـوادر (الجـزء الأول) تحقيـق الـدكتـور حمـود عبد الأمير الحمادي.

٢ ـ الصحاح في اللغة والعلوم ـ تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلميـة والفنيـة للمجامع والجامعات العربيـة، لنديم المرعشلي وأسامة المرعشلي، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، ص٣٩ـ٤٥.

٣ ـ في القوافي وكتاب التَّقْفِيَة للبَنْدَنيجي. تحقيق الدكتور خليل العطية، ص٤٧ ـ ٥٣.

٤ ـ المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم لمحمود شيت خطاب، ص٥٥ ـ ٦٨.

٥ ـ ديوان الأدب للفارابي: الجزء الأول، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر، ص٦٩ ـ ٨٢، والجزء الثاني، ص٨٣ ـ ٩٢، والجزآن الثالث والرابع ص٩٣ ـ ١٠٥.

٦ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل، للشريف الرَّضي، ص١٠٧ ـ ١١٤.

٧ ـ معجم الأخطاء الشائعة لمحمد العدناني، ص١١٥ ـ ١٣٤.

٨ ـ المساعد للأب أنستاس الكرملي (الجزء الثاني)، تحقيق كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، ص١٣٥ ـ ١٤٩.

٩ ـ الرسالة البغدادية لأبي حيان التوحيدي، تحقيق عبُّود الشالجي، ص١٥١ ـ ١٥٥.

١٠ ـ الفَرَج بعد الشِّدَّة للتنوخي، تحقيق عبود الشالجي، ص١٥٧ ـ ١٧٤.

١١ ـ نُشوار المحاضرة للتنوخي، تحقيق عبود الشالجي، ص١٧٥ ـ ٢٠٥، ثم أتبعه خمسة فصول:

الأول: لو أخذ القوس غير باريها، ويخص التصحيح اللغوي، ص٢٠٧ ـ ٢١٨.

الثاني: لغة العرب (مجلة) وفيه نقد لبعض ما كتبه الأب أنستاس الكرملي في مجلته، ص٢١٩ ـ ٢٣٠.

الثالث: لغة الصحافة، عرض فيه لطائفة من أساليب الصحافة، ص٢٣١ ـ ٢٤٦.

الرابع : التعريف بمخطوطة الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط لمحمد بن مصطفى الشهير بداود زاده التركي، ص٢٤٧ ـ ٢٦٠ .

الخامس: أبو سعيد السيرافي وكتاب سيبويه، ص٢٦١ ـ ٢٧٢، وفيه عرض سريع لشرح السِّيْرَافي لكتاب سيبويه .

* * *

مع المصادر في اللغة والأدب

نقد لمراجع اللغة والأدب، الجزء الثالث،
٣٣٤ص، ١٧×٢٤سم، دار الفكر ـ عمّان
١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

وهذا الجزء الثالث من هذا الكتاب، وبُدئ بالتعريف بكتاب المرصع في الآباء والأمهات لابن الأثير ص٥ ـ ٢٧، ثم تلى ذلك نقد السامرائي لكتاب المنقوص والممدود للفراء، تحقيق عبد العزيز الميمني ص٢٩ ـ ٤٧، فكتاب المستجاد من فَعَلات الأجواد للتنوخي، تحقيق محمد كرد علي ص٤٩ ـ ٦٩، فكتاب فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي للأسود الغُنْدَجَاني، تحقيق الدكتور محمد علي سلطاني ص٧١ ـ ٧٧، فكتاب العاطل الحالي لصفي الدين الحلي ص٧٩ ـ ٨٤، وكتاب سؤالات الحافظ السلفي لخميس الحوزي، تحقيق مطاع الطرابيشي ص٩١ ـ ١٠٤، فكتاب رسالة الغفران لأبي العلاء المعري ص١٠٥ ـ ١٠٩، أعقبه بمبحث (مصادر فكرة الغفران) ص١١٠ ـ ١٢٢.

ثم كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، تحقيق فيليب حتّي ص١٢٣ ـ ١٣٨، فكتاب الخراج وصناعة الكتاب لقدامة بن جعفر، تحقيق محمد حسين الزبيدي ص١٣٩ ـ ١٥٢، ثم كتاب الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير لابن الساعاتي، تحقيق مصطفى جواد ص١٥٣ ـ ١٦٥، فكتاب من العربية في العصور المتأخرة، أو الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة لابن الفوطي، تحقيق مصطفى ـ

جواد ص١٦٧ ـ ١٩٧ ، فكتاب مضمار الحقائق وسر الخلائق، لصاحب حماة محمد بن تقي الدين بن شاهنشاه الأيوبي تحقيق الدكتور حسن حبشي ص١٩٩ ـ ٢٠٨، فكتاب الوزراء للصابي، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ص٢٠٩ ـ ٢٣٤، فكتاب رسوم دار الخلافة للصابي، تحقيق ميخائيل عواد ص٢٣٥ ـ ٢٥٥ ، فكتاب الهفوات النادرة للصابي تحقيق الدكتور صالح الأشتر ص٢٥٧ ـ ٢٧٣ .

وختم الكتاب بثلاثة مباحث الأول: أشتات مما نشر وحقق ص٢٧٦ ـ٢٨٦، الثاني: مع كتب النحو في الوسائل التعليمية وتيسير تعليم العربية ص٢٨٧ ـ ٣١١، الثالث: قطوف من الكتب المترجمة ص٣١٣ ـ ٣٣٢.

* * *

مع المعري اللغوي

مـؤسسـة الـرسـالـة ـ بيـروت ١٤٠٤هـ =
١٩٨٤م، ٢٣٩ص، ١٧×٢٤سم.

عُرف أبو العلاء المعري شاعراً، وشاعت شهرته هذه حتى اقتصر عليها عامّة المتأدّبين إلا فئة قليلة شُغفَت بالدرس التاريخي ومعرفة الرجال، وغَبَرْنا دهراً لا نعرف من المعري إلا شعره، وأُوحي إلينا أنه شاعر متفلسف جامد متشائم، أعمى ذكي ألمعي.

والسامرائي في هذا الكتاب يدلل على لغوية المعري من خلال بعض كتبه، فبدأ برسالة الغفران. انظر التعريف بها فوقف فيها على كثير من أخبار الرواة واللغويين والشعراء والنحاة وغيرهم، وعلى كثير من النماذج الشعرية التي كان فيها وجوه من التأويل وما كان للنقّاد فيها، ثم انصرف عنها إلى كتاب (الفصول والغايات) في تمجيد الله والمواعظ، وهذا الكتاب اشتمل على جملة كبيرة من العلوم اللغوية والتاريخ والحديث والفقه والفلك وغيرها، وكأنه كان يملي الفقرة من هذه الأشتات على طلابها، ثم يختمها بالغاية، وكأنها آخر القول في تلك المسألة فيجعلها كالقافية في البيت، ثم يتبع الفقرة بعد انتهائه بـ (الغاية) يشرح (الغريب) من اللغة فيها، وهي طريقته في كثير من كتبه ما عدا الرسائل، فقد جعل لها كتاباً آخر معيناً يشتمل على مادة شرح هذه الرسائل أسماه (خادم الرسائل).

ثم انتقل إلى الحديث في كتابه (عَبَث الوليد) وهو في الكلام على شعر البحتري، وهذا الاسـم لا يخلو من النَّبز ولا يخلو من التحامل، وكـان المعري يتحرّى الوقـوف على الغلط فيُصْلِحُه، وهو معتمد على

نسخة أشار إليها، وربما كان هذا الغلط في النسخة من صنع الناسخ، ولعل هذا الغلط المزعوم غير موجود في نسخ أخرى، وعرض السامرائي لـ (٢٥) موضعاً خطّأ المعري فيها البحتري وردّها، وأبان أنها تحامُل لا نَقْد، وقد اشتمل عبث الوليد على مسائل كثيرة في اللغة، وهو يتخذ من أي شيء يَرِدُ في شعر البحتري حافزاً له إلى أن يبسط فيه القول، (والكتاب على كثرة فوائده، لا يمكن أن يكون ضَرْباً من العبث بأي وجه من الوجوه).

ثم عرض لـ(رسالة الملائكة) ووقف عليها وقفات تَقصُر أو تطول، ليبيّن أن المعري لغويٌّ ضليع، ونَحْوِيٌّ ذو نظر ورأي في النحو، وليس تابعاً لغيره من السابقين، وخَلُص إلى أن ما في الكتاب من لغة وصرف واشتقاق، ودَلالات وشعر، وفوائد جمّة تتصل بالتاريخ اللغوي، ثم عرّج على رسائل أبي العلاء، ووقف على منهجه ولغته وأغراضه فيها، ثم انتقل للحديث في رسالة الصاهل والشاحج (يتكلم فيها المعري على لسان فرس وبغل) وعرّف بها، وخَلُص إلى أن هذه الرسالة عَيْبة علمٍ كثير إلى جانب الفوائد التاريخية والاجتماعية، التي لابدّ أن يقف عليها المؤرخون في عصرنا عند الكلام على هذه الحِقْبة، وأتى على (زجر النابح) ووقف على مقتطفات منه.

ثم عرّج على (شرح ديوان الحماسة) وأورد جملة وِقْفات عددُها واحد وثلاثون وِقفة، استقراها من المخطوط، ليضع أمام الدارس القدر اللغوي الذي شغل به المعري في شرحه للحماسة.

ثم ختمه بكلمات من (رسالة الغفران)، وكان مرامُه أن يصنع شيئاً من (معجم المعري) على غِرار ما كان عَمِلَه من هذا في لغة المتنبي ولغة الجاحظ، وأُريد بهذا النهج من العمل اللغوي الوقوف على طائفة من الألفاظ، التي كان فيها للأديب شاعراً كان أم كاتباً استعمال خاص، كأنْ يكون قد اتسع فيها أو أخطأ في ذلك، فأدى الخطأ إلى سيرورة معنى جديد، وقد تكون الكلمة جديدة ولّدها الكاتب أو الشاعر ولم ترد في

المعجمات. . . وكان يريد أن يصنع شيئاً من هذا في ألفاظ المعري، ولكنه وجد أن المنهج الذي رسمه لنفسه واتّبعه مع المتنبي والجاحظ وابن المقفع، لا يتحقق في المعري، وذلك لأن المعري قسا على نفسه فحمّلها شَطَطاً.

قسا على نفسه فزهِد في الحياة واعتزل الناس، وانصرف إلى العلم، وقسا على نفسه في شعره وأدبه، فاشتُهر بلزوم ما لا يلزم، وقسا على نفسه في نثره، فجاء بالغريب العامر بالأوابد والشوارد سَلَكَها في قالب من الفواصل مسجوعة، وربما شقّ على نفسه في هذا النثر المسجوع، فجعله على طريقة لزوم ما لا يلزم، فاللغة (المصنوعة) التي أثبتها المعري في نثره وطائفة من شعره، جعلته يميل إلى أنه لم يستعمل لغة معاصريه، كما لم يستعمل المعروف المألوف، بل هي لغة خاصة حافلة بالشَّوَارد والغرائب، وكأنّه قصد إلى هذه الصنعة أو الاصطناع توخياً للإتيان بـ (المعجز) العسير الذي لا يصل إليه غيره، بل لا يدركه إلا فئة قليلة بالكدّ والجد والنَّصَب.

من أجل ذلك عَدَل عن صنع المعجم، وقَصُر اهتمامه على أشتات قليلة من غرائبه استقاها من (رسالة الغفران)، وجعلها نماذج معبّرة عن منهجه في البحث عن (الغريب) ليس غير، عددها ثلاث وخمسون كلمة، رتّبها على حروف المعجم.

ثم ألحق بذلك ما قام به العلاّمة عبد العزيز الميمني في ضَبْط مصنفات المعري وما قيل فيها، وفوائد أخرى اقتطفها من كتابه: (أبو العلاء المعري وما إليه).

فخلاصة وخاتمة، خلُص فيها إلى أن المعري لغوي من الطبقة الرفيعة، حاملٌ لأشتات هذه العلوم اللغوية، مُلِمٌّ بأُصولها، عارفٌ بأسرارها، ثم هو فوق هذا وذاك مُدركٌ لأشياء انفرد بها.

* * *

مع نهج البلاغة

دراسة ومعجم

دار الفكـر ـ عمّـان ١٩٨٧م، ٣٨٩ ص، ١٧×١٤سم.

نَهْجُ البلاغة هو ما جمعه الشريف الرَّضِيُّ من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ورسائله، ووصاياه، وسائر أدبه، مما تتوافر له، فجمعه في كتاب وسمه بـ (نهج البلاغة) وللناس خلاف في نسبة الكتاب إليه، فممّن شكك في نسبته ابن خلّكان، الذي عدّ الخُطَب وغيرها للشـريف الرضي نفسـه، وإلى مثل هذا ذهب صلاح الدين الصَّفَدي وآخرون، ثم جاء المعاصرون فذهبوا هذا المذهب، وأنكروا أن يكون جميع ما ورد في النهج من صنع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومن هؤلاء أحمد حسن الزيّات ومحمد كرد علي.

وقد أورد السامرائي بإيجاز آراء المنكرين وهي:

١ ـ صناعة السجع والتنْميق اللفظي، وآثار الصنْعَة، ممّا لم يعهد على علي، ولا عُرِف إلا في العصور العباسية.

٢ ـ التعريض بالصحابة؛ كعمر، وطلحة، والزبير، ومعاويـة، وأشياعهم، وهذا لا يصدر عن رجل فاضل كعلي.

٣ ـ دقة الوصف والأفكار السـامية المدنية، واسـتعمال الألفاظ الاصطلاحيـة كالأين والكيف، والطريقـة العدديـة في شـرح المسائل وتقسيمات الفضائل والرذائل كقوله: الاستغفار على سبعة معان، والصبر

على أربع شعب، وكل ذلك لم يُعرف إلا بعد تعريب كتب الفُرْس واليونان.

٤ ـ إدعاء علم الغيب، وهذا أمر يُجَلُّ عن مثله مقام علي.

غير أن السامرائي يميل إلى صحة نسبته لعلي ويقول ص٢٦:

«والكتاب بجملته ينتظمه أسلوب واحد يشتمل على عِناية باللفظ، مَسُوقٌ في أبنيةٍ فصيحة، تصل إلى المراد بطريقة فنية من استعمال المجاز وغيره، مما تعين عليه العربية وتسمح به مقدرة سمحة، وكان ينبغي على أهل العربية أن يتخذوا من استعمالات الإمام مادة يرفدون بها المعجم التاريخي. ومن العجب أننا لا نجد شيئاً من مواد المعجم القديم يتخذ من لغة النهج مُصَوّباً ومقوّماً».

وقد قسم السامرائي كتابه على النحو التالي: دراسة لنهج البلاغة ٤٣ صفحة، نماذج من الخطب والكتب والوصايا ص٤٤ ـ ٦١، المعجم ص٦٣ ـ ٣٧٠، وضم (٧٨٤) مادة، معتمداً طبعة الأندلس ببغداد، الفهارس ٣٧١ـ٣٧٩.

* * *

معجم الفرائد

مكتبة لبنان ـ بيروت ١٩٨٤م، ٢٠٠ص، ١٧×٢٤سم.

هذا المعجم نَمَطٌ من التأليف المعجمي، ذهب فيه مؤلِّفُه مذهباً تاريخياً لطائفة من الكَلِم، انتقاها من المعجم العربي القديم الواسع ذي الفوائد الجمَّة، فوقف على هذه الفرائد وِقْفَات مفيدة، كل وِقْفة هي غيرُ أُختها، ذلك أنه يذهب بعيداً في أصل مادة لغوية، فيعرض لاشتقاق أو توسُّع أو شيء من هذا وذاك، في حين أنه قد تستوقفه مسألة تاريخية أو اجتماعية تتصل بخبر أو حكاية أو مَثل. وجِماع هذه الفوائد يجعل الدارِس يوقن أن العربية لغة قلّ أن يكون لها نظائر وأشباه.

ويقول السامرائي: «على أني لم أختر هذه المواد القديمة لِقِدَمها، بل لما تقدَّم من فرائد تاريخية، نلمح منها شيئاً باهتاً أو لامعاً في عربيتنا المعاصرة، وما أظن أن لغتنا المعاصرة تستطيع أن تفي بحاجات العصر من غير أن يكون لها قدر وافٍ من ذلك المعين القديم، أكثر من أمثال هذه الفرائد».

ضم هذا المعجم (٧٩٦) فريدة، مرتّبة على حروف المعجم.

مثال: عدس، ص١٣٨.

و(العَدَس) من الحب واحدته عَدَسَة.

تعليق: لقد أُطلق لفظ (العدسة) على جزء من أجزاء العين، وما أظن أن الدارسين في طب العيون في عصرنا قد اعتمدوا في هذا المصطلح

على علم قديم في العربية، وذلك لأنهم درسوا الطب فيما وصل إلينا من علم الغربيين، ومن أجل ذلك فقد يبلغ بي الظن إلى الاعتقاد أنهم ترجموا الكلمة الأجنبية، وإذا كانت هذه هي (العدسة) عند الفرنسيين (lentille) ونظيرها في الإنكليزية، فإن هؤلاء الغربيين قد سمّوا هذا الجزء من العين باسم حبة (العدس) تشبيهاً، وهكذا أخذنا ما اجتهد فيه الغربيون، فكانت لنا العدسة مصطلحاً علمياً.

وقد يقال لِمَ لم يتأثر المعاصرون بالعلم القديم الذي شارك فيه العرب في هذه المواد الطبية؟ والجواب عن هذا أن العلوم الحديثة مقطوعة الصلة لدى الدارسين العرب عمّا أنجزه العلماء العرب المتقدّمون، وهي على العكس من ذلك تعتمد على الإنجاز الغربي في هذه العلوم الحديثة، ثم إن إطلاق (العدسة) على ضرب من الزجاج شي مما جرينا فيه على استعمال الغربيين.

مثال آخر، ص١٣٩ :

عرس:

و(العَروس) نعت يستوي فيه الرجل والمرأة. وفي (الصحاح): ماداما في إعراسِهِما.

تعليق ـ أقول: وقول المعاصرين للرجل المُعرِس (عريس) أو (عِرِّيس) فمولّد جديد لا تعرفه العربية.

* * *

المعجم الوجيز في مصطلحات الإعلام

عربي - فرنسي - إنكليزي

مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ١٩٩٩، ٢١٤ص ١٧×٢٤ مقدمة ودراسة ١ - ٩٠، الوجيز في مصطلحات الإعلام ٩١ - ١٤٨، الخاتمة ١٥٢ - ١٥٥، ملحق في تغريب العربية المعاصرة، يشتمل على الكثير من مصطلح الإعلام ١٥٦ - ١٧٠، فهرس عربي ١٧١ - ١٨٧، فهرس فرنسي ١٨٨ - ٢٠١، فهرس إنكليزي ٢٠٢ - ٢١٤.

هذا المعجم الثّلاثي اللغة من المعاجم الضرورية والمهمّة في مجاله، لأننا في عصر الإعلام والمعلوماتية، وقد وضَعَه مؤلفه لندرة معاجم الإعلام في العربية.

استهلّه بمقدمة هامة مُسْهَبَة تناولت لغة الإعلام، خاصة لغة الصحافة والتحولات التي أصابت اللغة العربية، رابطاً برشاقة بين الأصيل والوافد الطارئ، ومركّزاً على الترجمة التي أدخلت في كثير من الأحيان الضّيم والرَّطانة على اللغة العربية، خاصة الترجمة التي لم يكن أصحابها على مستوى عالٍ باللغتين المترجم عنها والمترجم إليها.

استقى السامرائي أمثلته من لغة الإعلام ولغة الترجمة، ومن الباحثين الذين يتعقّبون أخطاء الإعلاميين في الصحافة والإذاعة والتلفاز، مما يجعل

من معجمه مرآة عاكسة للغة الحياة، بما فيها من حركة ونموّ وتبدُّل، غير مقتصر في كل ذلك على إقليم واحد من أقاليم العالم العربي، فأحاط بالقواعد العامة من دون إهمال الجزئيات الخاصة.

وهذا المعجم بدراسته الشاملة وبمصطلحاته المشروحة بالعربية مع مقابلاتها الفرنسية والإنكليزية المرتبة على حروف المعجم، وتعليق مؤلفه على كثير من المصطلحات التي يرى فيها ضرورة لهذا التعليق، يُعَدّ مرجعاً مهمّاً لطلاب الإعلام وللعاملين فيه وللأساتذة والباحثين في هذا المجال، وعوناً للمترجمين العاملين في الصحافة والإذاعة والتلفاز والمعلوماتية، وحلقة هامة في سلسلة كتب ومعاجم التصحيح اللغوي، في سبيل عربية أنقى وأصفى.

وبيّن السامرائي في الخاتمة أن أصحاب المصطلح من العرب غير مدركين لصنعتهم، فقد يكون منهم الخطأ والتجاوز والبعد عن الفصيح المليح، كقولهم في مصطلحات العلوم الاجتماعية (استبيان) مع أنه مصدر لفعل واحد لاوجود له في العربية وهو (اسْتَبْيَنَ) والصواب أن الفعل (استبان) ومصدره (الاستبانة).

ومن هذا ما نسمعه ونقرأه من أمر (الخصخصة)و(العولمة) وأوضح أن أهل شمالي إفريقية يبتعدون عما لأصحابهم المشارقة من مصطلح خاص للشيء الواحد، فالمشارقة قالوا (الحاسوب) لما هو (كمبيوتر) في حين قال المغاربة (الرتّابة).

وختم كتابه بـ(ملحق في تغريب العربية المعاصرة) ويشتمل على الكثير من مصطلح الإعلام. استوفى فيه الأساليب التي لم تستفد منها العربية غنى وثروة لغوية، فقد ترجمت وحشرت في العربية، ومردّ ذلك جهل من تصدى للترجمة بأصول العربية، وفنون القول فيها، فلم يتيسر لهم نقل الأفكار الغربية بأسلوب عربي، ولو عرف هؤلاء بلاغة العرب،

وعرفوا أسرارها لما اندست في العربية أساليب غريبة عنها بحيث لا تعدّ من طائفة المصطلح الفني الذي نجتهد في أن يتوافر لدينا كقولهم: هو يسهر على المصلحة العامة، ذرّ الرماد في العيون، حجر عثرة، توترت العلاقات، هو يلعب بالنار، أجاب بالحرف الواحد.

* * *

معجم ودراسة في العربية المعاصرة

مكتبة لبنان ناشرون - بيروت ٢٠٠٠،
١٩٨ص ١٧×٢٤سم عدا المقدمة.

هذا معجم جديد، أو بتعبير أدق معجم في العربية الجديدة، أو في جديد العربية[١]، وقف فيه السامرائي وِقْفات تاريخية على بعض جوانب المعجم الجديد على التطور اللغوي الذي أصاب هذه العربية، ووقف فيه وِقفات تاريخية متتبِّعة على ألفاظ هذه الثروة اللغوية ودلالتها في عربية هذا العصر التي تلقَّفَها من الصحف والمجلات ووسائل الإعلام، ومن المقالة والقصة والرواية. ومن المصطلح الجديد المتأتِّي من العلوم الحديثة.

وعرّج على الأسلوب عموماً والتعابير خصوصاً، التي وفدت إلى العربية عَبْر الترجمات، ومع أنها غريبة عن العربية، فإن العربية لغة سمْحَة سهلة ليّنة طيّعة، لم تتنكّر لهذه الأساليب، بل قَبِلها الاستعمال وراضَها حتى توهّم القارئ أنها عربية النِّجار.

---

(١) ويقول السامرائي في المقدمة: «لا بد لنا أن نُقِرَّ أنَّ عربية عصرنا لغة جديدة أدعوها (العربية المعاصرة) وإني لأستظهر على ما أنا فيه من كونها لغة ذات معجم جديد يتّسع على الدوام أننا نجد في هذه العربية المعنى الجديد الذي أفدناه من تأثّرنا باللغات الأعجمية. ونتجاوز هذا فنرى أننا ذهبنا إلى مجاز جديد نقلناه - شعرنا أم لم نشعر - من تلك اللغات. . . وقد كان لنا في (عربيتنا المعاصرة) موادّ أخطأنا في دلالتها، فصرفناها إلى دلالة جديدة. ولست أذهب إلى القول: إنها خطأ شائع، ذلك أنها شاعت وعمّت. وقد يكون لنا أن نجد شيئاً في هذه العربية الجديدة يبتعد عن نحو العربية. ولكننا حُمِّلنا على تقبُّله).

إن هذه العبارات الجديدة رافد اقتضته الضرورة، ينضم إلى روافد إثراء العربية القديمة الحديثة، أي إلى المجاز والاستعارة والكناية والتوسّع الدلالي بأشمل مفهوم.

وقف السامرائي من المعرَّبات الجديدة والأساليب الحديثة موقفاً علمياً محايداً، يسجل الظواهر اللغوية تسجيلاً وصفياً أو توصيفياً، من دون إبداء أحكام تقويمية سلبية أو إيجابية، صنيع العالم المؤرّخ في سبيل المعرفة العلمية المجرَّدة.

وفي فصل (من العربية المعاصرة التي تجاوزت الخطأ) يرى السامرائي أن الاستعمال قد دفعنا إلى أن ننظر نظراً آخر إلى ما كان يعدّ خطأً. وقد يكون أن نلمح في سعة العربية ما يعين على ما نريد. ويقول ص٢٥: «وإني لأقف هنا على أشياء كثيرة أستطيع أن أعدّها خطأً إذا سايرت أصحابنا السلفيّين، ولكني قد أجد لنفسي مخرجاً أنسرب فيه، فأفارقهم قليلاً»، ومن ذلك الذي بسطه: الاستبيان، إجراءات أمنيّة مشدَّدة، الأصولية، اسْتَهْتَرَ، صادف، ومصادفة.

وفي فصل (من الأبنية الجديدة في العربية المعاصرة) عرض فيه لطائفة كبيرة مما شاع في هذه (العربية المعاصرة) خالفت أبنية العربية. وشاع حتى غدا ما هو فصيح إزاء هذا الشائع الكثير غريباً، وخلص إلى أن العربية المعاصرة تؤلف معجماً جديداً، يختلف عما هو مسطور في معجماتنا القديمة. ومن تلك الأبنية: (أكّد)، هذا الفعل الذي تحول في العربية المعاصرة إلى فعل لازم، وكذلك (تعرّف) كقولهم أكد على، وتعرف على، و(ركّز)، الذي صُرف إلى غير دلالته، و(شكك) و(تمشّى) وهو فصيح في العربية مثل: (مشى) وعُدل عنه في العربية المعاصرة إلى معنى: سار موافقاً لما هو غالب عام «تمشّى هذا الأمر مع ذوق الأكثرية الساحقة» و(حلل) و(انتدب) و(تلفن) و(مَكْيَجَ). . .

وفي فصل (مع التعريب والمعرب بين القدماء والمحدثين) عالج قضية التعريب التي شغلت اللغويين القدماء والمحدثين، وأورد في هذا الفصل عدداً من الكلمات المستعملة حالياً في المجتمعات العربية، ترجع في أصولها إلى لغة أخرى غير العربية، وقد جعلها شواهد تدلّ على سَعَة الإفادة من الكلم الأجنبي، إضافة إلى فوائدها التاريخية، وقد استقى تلك الشواهد من كتاب ابن كمال باشا (تحقيق تعريب الكلمة الأعجمية).

حوى الكتاب ثمانية عشر فصلاً، حرص السـامرائي فيها على أن يحترم وشائجها، وكأن أحدها ينظر إلى الآخر ويتعلّق به ويكمّله، وصنع فهارس مفيدة للألفاظ والتعابير الواردة في الكتاب.

* * *

المُقْتَرح في المُصْطَلَح

في صيد الطير

لمحمد بن إسماعيل بن ودعة المعروف بابن البقال

حققه وقدم له إبراهيم السامرائي. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي ١٤١٨هـ = ١٩٩٧، ٩٤ص، ١٧×٢٤سم.

مادة هذا الكتاب شيء من الجد، أو ما نصطلح عليه في عصرنا بالنشاط المحمود، يؤدّيه المعنيّ به كسائر ضروب الممارسات التي تبتعد عن اللهو، وهذا الكتاب في ممارسة (الفتوّة) في التاريخ الإسلامي. ومن أمارات الجد في الكتاب أنّ المؤلف عَرَض لما يكون في هذا النشاط من رسوم وأحكام، وأنه اجتهد كثيراً في مُحاكاة ما يكون في هذه الممارسة بالأحوال الخاصة بسلوك الرجل والمرأة، وما يترتب فيه من حكم شرعي، ويجد فيه القارئ أحكام ما ينبغي للرامي أن يتصف به.

وفي جملة مادة الكتاب يقف القارئ على معجم يتصل بالبندق (واحدة بندقة وهي الحجارة التي يرمى بها) والطير المرمي الذي يدعى الصَّرْع.

والقارئ في هذا الكتاب يجد القوم في القرن السادس الهجري كيف تسمّحوا بالعربية، فولّدوا جَمْهَرة من مصطلح الرمي بالرامي والطير المصروع والقائمين بالنظر في هذه الممارسة من حكّام ورماة وغيرهم،

ثم إنه يجد هذه الرياضة الجادّة على ما يقتضيه الشرع الإسلامي من شؤون الجد.

حقق السامرائي هذا الكتاب على النسخة الموجودة بدار الكتب الوطنية بباريس، وهو ضمن مجموع رقم (٤٦٣٩)، وناسخها ليس له من العربية ما يعينه على الفهم والضبط، وقد ذيل الكتاب بفهرس في (المصطلح الفني)، وهي موادا اضطلع عليها أهل الصنعة في ممارستهم الرمي والبندق، عُدل عن دلالتها اللغوية ليفيد هذا الجديد الخاص، استقراه من كتاب المقترح، وقد رتبها على حروف المعجم عددها (٣١) مصطلحاً.

* * *

من أساليب القرآن

مؤسسة الرسالة ـ بيروت، دار الفرقان ـ
عمـــان ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م، ١٤٤ص،
١٧×٢٤سم.

أحسنُ الكلام ما تناول كلامَ الله جلّ جلاله، بهذه العبارة افتتح السامرائي كتابه، وقد بدا له أن يقف وِقْفَات جديدة على هذه اللغة الشريفة، ويطّلع منها على شيء من أساليب العربية، لم تنل من الدارسين الأوائل ومن خلفهم من أهل عصرنا غير القليل.

وأشـار إلى جملة مواد من أسـاليب القرآن، ووقف عليها وِقْفات خاصة، عَرَض فيها ما بدا له من أمر هذه الفوائد النافعة، وكان له من ذلك شيء يخالف ما ذهب إليه النحاة الأوائل، وهذه الأشتات التي وقف عليها في هذا الموجز، مايمكن أن يكون حافزاً إلى العَوْد إلى هذه العربية لتسجيل فرائدها وفوائدها على نحو أكثر اتصالاً بالعلم النافع، وطائفة من هذه الأساليب قد نكون مقصّرين في فهمها إن اقتصرنـا على المباحث النحوية القديمـة، ووجد الاقتصار على العلم النحوي في طائفة من المسائل قد حمل الضّيم على جُملة من أساليب القرآن، ذلك أن مسائل كثيرة كالدعاء والقسم، والتوكيد، والتعجب، والمدح والذم، والتفضيل معوزة، وإن مجال القول، ليَنْفَسِح فيها، فتأتي بما لم يذكره النحاة، وخَلُص من ذلك إلى أن ما قاله النحاة غير معين على فهمها.

وفي مقدمة الكتاب أثبت جديداً خالف به جمهرة الدارسين في النحو الذين ذهبوا إلى ترداد المقولة القائلة: إن النحو العربي قد وضع بسبب رد

غائلة اللحن التي عرضت للألسنة، وتجاوزت هذا الحد، فكان من ذلك لحن يعرض للقرّاء في كلام الله، واستمر القوم على ترداد هذه المقولة واختلفوا في أجـزائها . . . وخَلُص إلى أن النحو نشـأ بِسَبَبٍ من الدرس القرآني، فكما ولّدت العناية بالقرآن طائفة من العلوم التي تدعى علوم العربية، والعلوم الإسلامية الأخرى كذلك جاء علم النحو شيئاً من عدة هذه العلوم المعروفة.

ضم الكتاب تسعة فصول:

الأول: (من أساليب الدعاء في العربية).

الثاني: (أسلوب النداء في لغة التنزيل).

الثالث: (أسلوب القسم في الشعر ولغـة التنزيل).

الرابع: (أســلوب التفضيل في لغة التنزيل).

الخامس: (أسلوب التعجب في لغة التنزيل).

السادس: (أسلوب التفضيل في لغة التنزيل).

السابع: (أسلوب المدح والذم في لغة التنزيل).

الثامن: (الدلالـة في طائفة من الأفعال ـ أفعال المقاربـة، وأفعـال الرجاء، وأفعال الشروع).

التاسع: (ما يسمى أسماء الأفعال) عرض لما قاله النحاة واللغويون فيها، وعلّق على أقوال الفريقين بما بدا له من النظر في أساليب العربية وبما أعانه عليه الدرس القرآني.

* * *

من بديع لغة التنزيل

مؤسسة الرسالة ـ بيروت، دار الفرقان ـ عمّــــان ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ٤٠٠ص، ١٧×٢٤سم.

تضمن هذا الكتاب فوائد من فَيْض اللغة العربية، تتوّزع بين اللغة والنحـو والأدب، مشـتملة على أفانينَ بديعة، وأشـار إشارات كثيرة إلى خصائص لغة التنزيل، منها: تخيّر اللفظ، وإحكام الأداء، وإصابة دقائق المعاني والتناسب في فواصل الآيات، الذي يتفق مع إحسان النَّظْم، وإحكام المعاني والأغراض، وكان من ذلك سر الإعجاز.

عرض السـامرائي لذلك البديع وَفْقَ ترتيب السـور والآيات، فبدأ بالفاتحة، فالبقرة، فآل عمران . . . وكان مما وقف عليه (٦١٥) وِقْفَة، وكان كثيراً ما يختم الوقفة بقوله: أقول:

والحق أن هذا الكتاب يمور بالفوائد، ومن ذلك الربط بين الاستعمال القرآني والاستعمال المعاصر كما في الفقرة (٤١٩) ص٢٥١، والاستعمال القرآني الذي لا نعرفه ولا نستعمله كما في الفقرة ٤٢٢ و٤٢٦، والكلم الذي نفتقده كل الافتقادِ في العربية المعاصرة حين عَرَض لقوله تعالى: ﴿ وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ﴾ فقرة (٣٥٣)، فالمعتر الذي يتعرض بغير سؤال، وقيل: القانع السائل أو المتعفف، والمعاجزة بمعنى المسـابقة فقرة (٣٥٧) ص٢٢٨، وعن إساءة المعاصرين لاستعمال بعض الآيات مثل قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ أي ما أنزل الله بتسميتها من حجة. أما المعاصرون فأساؤوا استعمال هذه الآية واقتباسها في مواطن

يَمْتَنِع اقتباسها امتناعاً مطلقاً فيقولون مثلاً: هذه أخبار ما أنزل الله بها من سلطان، أي محض كذب وباطل، والكذب والباطل لايمكن بأي حال من الأحوال أن ينزل بها حجة من الله. فقرة (٢٠٧) ص١٦٧.

وعرض للأخطاء اللغوية لدى الكُتّاب مثل: على ضوء العلم والصحيح: في ضوء فقرة (٣) ص١٥، وفشل بمعنى خاب وأخفق في مسعاه، ومعناها الصحيح: جَبُن وضَعُف. فقرة (١١٣) ص٤٩. ومثل استعمال (لئن) ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ ﴾ فالجواب في مثل هذه الجملة ينبغي أن يكون للقسم، أما ما شاع على ألسنة بعض الكتاب والشعراء وهو الأسلوب الذي جرى على خلاف ما اشْتُهرت فَصاحته، ودلَّت عليه لغة التنزيل، ذلك أن المعربين جروا على أن الأسلوب هو أسلوب الشرط، وأن الجواب فيه جواب للشرط فيقال: ولئن فاتنا شيء من ذلك فلم يفتنا ما هو ضروري. فقرة (٤٧) ص٥٦ـ٥٩.

ومن ذلك وصف جمع أفعل: أبيض، أحمر على فَعْلاء: بيضاء حمراء، فالوصف للجمع لا يكون ولا يصح بـ (فعلاء) بل بـ (فُعْل) جمع أفعل فعلاء. فقرة (٤٦٥)، ص٢٦٥.

وفي الكتاب فوائد لغوية ومن ذلك عندما عرض لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ قرئ بضم الشين وفتحها، والفرق بينهما أنه إذا حصلت الآفة في بصره قيل عَشي، وإذا نظر نظر العشي ولا آفة به قيل: عَشَا، ونظيره عَرِج لمن به الآفة، وعَرَج لمن مشى مِشية العرجان من غير عرج.

ومن ذلك التعابير الصحيحة التي عُدل عنها إلى الخطأ حين عرض لقوله تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ أي تقوّوه بالنصر، وهذا ما لا نعرفه في العربية المعاصرة. فقرة (٥١٦)، ص٢٨٢، وحين عرض

لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ فمعنى كبتوا: أُخْزُوا وأُهْلِكوا. عَدَل عنه أصحاب علم النفس، فصنعوا منه مصطلحاً هو (الكَبْت)، بمعنى: أن الإنسان يكظم ويخفي من الأفكار والمعضلات والهموم ما يدفعه إلى سلوك خاص أو تصرّف مَشين، ويرى السامرائي أن يُلجأ إلى كلمة أُخرى هي (الزمُّ) التي تعين الإخفاء والكظم. فقرة (٥٤٦) ص٢٩١.

ومن ذلك أيضاً عُدُولهم عن سفر قاصد إلى سفر مباشر، حين عرض لقوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ ﴾ فلو أن المعاصرين أطالوا النظر في كلمات الله، لرأوا فيها ما يسدّ حاجاتهم اللغوية، وما يضطربون فيه من مصطلح حديث. إنهم قالوا سفر مباشر، طريقة مباشرة، ويقول السامرائي: ولا أدري كيف فهموا المباشرة على هذا النحو، ذلك بأن فصيح المباشرة أن تلي الأمر بنفسك، على أننا لا نستطيع حمل وصف الشيء بـ (المباشر) في عربيتنا المعاصرة على الخطأ، ولكننا نقول: إنها لغة جديدة مولّدة أدّى إليها التطور في الدّلالة، وهذا شيء يعرض لجميع اللغات، فقد تتغير المعاني، فيظهر جديد، ويختفي قديم. فقرة (١٥٢) ص١٣١.

وعرض أيضاً للمشاكلة في الأصوات وهي كثيرة في لغة التنزيل، وهي تؤدي غرضاً صوتياً يرمي إلى حسن الأداء والتلاوة. فقرة (١٢٨) ص١١٦ـ١١٧.

وعرض إلى بعض الآيات الكريمة التي فيها مشكلات نحوية ولغوية كما في قوله تعالى: ﴿ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾، ص٢١٥، و﴿ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾، ص٢١٨، و﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾، ص٢٨٤.

* * *

من سَعَة العربية

دار الجيل ـ بيروت ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م، ٢٤٧ص، ١٧×٢٤سم.

وهو بحث موجـز عرض فيه المؤلف لموضوع من الموضوعات التاريخية في النحو العربي أسماه (سعة العربية)، هذه السعة تشتمل على مواد لم يُعنَ بها النحويون، فلم يطيلوا النظر في الأصول التاريخية التي تتصل بلغة القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وكان مُرامُه من هذه الفصول التي كتبها أن يُظهِر أن العربية واسعة، لا يمكن أن تنظمها قواعد مقررة. والدارس في هذا الكتاب يقف فيه على مواد لم يعرض لها النحويون، وعلى أخرى لم يعرض لها اللغويون.

* * *

من الضائع من معجم الشعراء للمَرْزُبَاني

مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٤هـ =
١٩٨٤م، ١٦٦ص، ١٧×٢٤سم.

معجم الشعراء للمرزباني (٢٩٧ ـ ٣٨٤هـ) معجم رُتّبتْ فيه أعلام الشعراء على الحروف الهجائية مع مُراعاة أوائل الأسماء، وصَرْف النظر عن الألقاب والكُنَى، وقد حاول المرزباني في هذا المعجم الأول من نوعه بين كتب تراجم الشعر، أن يستقصي ذكر الشعراء قاطبة، مشهورهم وَمْغمورهم مُكْثِرهم ومُقِلّهم، حتى ضمّنه ما لا يقل عن خمسة آلاف اسم كما يذكر ابن النديم، ولكن الذي يؤسف عليه، أن هذا المعجم القيّم لم يصل إلينا بتمامه، إذ لم يعثر الباحثون إلا على قسمه الأخير الذي يتضمن أسماء الشعراء من حرف العين ـ مادة عمرو ـ حتى آخر الحروف الهجائية، ولو أن الكتاب وصل إلينا بتمامه، لكان أوفى سجل نرجع إليه للبحث عن أسماء شعراء العربية منذ أقدم العصور حتى نهاية القرن الهجري الثالث، وقد نشر ما وصل إلينا بتحقيق عبد الستار أحمد فراج بالقاهرة سنة ١٩٦٠م، وضم أكثر من ألف ترجمة.

والسامرائي في هذا الكتاب جمع (٢٥٨) شاعراً من جملة شعراء معجم الشعراء للمرزباني رتّبهم على حروف المعجم، وتختلف التراجم في هذا المجموع، فهي إما موجزة كلّ الإيجاز، وإما مشتملة على فوائد في الترجمة والشعر استقاها من كتب: الإصابة لابن حجر، وتهذيب تاريخ دمشق لعبد القادر بدران، ومعجم الأدباء لياقوت، وفوات الوفيات لابن شاكر الكتبي، ولسان الميزان لابن حجر، وتاج العروس للزبيدي، وخزانة الأدب للبغدادي، ووفيات الأعيان لابن خلكان.

* * *

من معجم الجاحظ

وزارة الثقافة والإعلام ـ بغداد ١٩٨٢م.

سَلَكَ السامرائي منهجاً فريداً في صنع بعض المعجمات التي تحوي فرائد وفوائد لكبار الكتاب والشعراء، كالجاحظ وابن المقفع. أراد بهذا النهج من العمل اللغوي الوقوف على طائفة من الألفاظ التي كان فيها للأديب شاعراً أم كاتباً استعمال خاص، كأنْ يكون قد اتّسع فيها أو أخطأ في ذلك، فأدى الخطأ إلى سيرورة معنى جديد، وقد يكون شيء آخر تتصف به الكلمة، هو أنها دخيلة أعجمية لم يشر إليها اللغويون، أو أنها من أصول ساميّة فكان لها في العربية مقام خاص، وقد تكون الكلمة جديدة ولّدها الكاتب أو الشاعر ولم ترد في المعجمات، وقد تكون فصيحة في عصرها، ولكننا نفتقدها في العربية المعاصرة، في حين أنها معروفة في الألسن الدارجة. (مع المعري اللغوي ص١٤٥).

تناقل العلماء أن كتب الجاحظ تعلّم العقل، ويرى السامرائي أن هذه العبارة موجزة، فالجاحظ يدلك على أشياء خَفِيَت على الأقدمين، ويكشف صفحات لم يُدْرِكْها العلم إلا في عصرنا هذا، وقارئ كتب الجاحظ ورسائله، يرى جُملة صالحة من فوائد علم اللغة الحديث. فكتاب (البخلاء) كتاب ظرف وأدب ومتعة، لكنك تجد فيه من علم الاجتماع الكثير من الفكر النيّر والعلم الجديد.

استقى السامرائي معجمه هذا من قراءته لكتب الجاحظ، وقد رتّبه على حروف الهجاء، وشمل:

١ ـ اللفظ القديم الذي ذكره الجاحظ، وعفّى عليه الزمان في عصرنا، وهو مفيد لو أنّا أحسنّا إحياءه.

٢ ـ اللفظ القديم الذي كان من مادة المصطلح العلمي، أو كان أداة يحسن بنا أن نفيد منها في عصرنا.

٣ ـ اللفظ الأعجمي الدخيل، ممّا عرّبه العرب أو مما لم يعرّبوه، وفي ذلك فائدة حضارية تاريخية، ذلك أن نوع هذه المعرّبات تكشِف عن فوائد تتصل بالحضارة.

٤ ـ اللفظ العاميّ الذي استخدمه الجاحظ لغرضٍ ما.

٥ ـ اللفظ الفصيح الذي افتقدناه في العربية المعاصرة، وأبقيناه في اللغة الدارجة.

٦ ـ اللفظ الذي يكشف عن خصوصية جاحظية، كأنْ ينفرد بِصَوْغه وبنائه، إن فعلاً أو اسماً أو جمعاً.

٧ ـ اللفظ الذي تفرد به الجاحظ، ولم نجده في المظانّ اللغوية.

٨ ـ اللفظ الذي ولّده العوام في عصره، ممّا لا يمكن أن نجد له أصلاً قديماً، ولا شيئاً بقي منه في عصرنا.

٩ ـ الأسلوب العاميّ في التعبير مما اشتملت عليه كتبه ورسائله.

* * *

من معجم عبد الله بن المُقفَّع

مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م، ٢٤٨ص، ١٧×٢٤سم، المقدمة ١ - ١٠، المعجم ١١ - ٢٢٦، الفهارس ٢٣١-٢٤٨.

عبد الله بن المقفع من أئمة الكتاب، وأول من عُني في الإسلام بترجمة كتب المنطق. ويجب علينا أن نُحلّ ابن المقفع في المنزلة العليّة في الأدب، وبذلك نكون قد أقمنا حقاً ونصرنا علماً.

ويرى السامرائي أن كتاب (كليلة ودِمْنَة)وهو أشهر كتبه، من صنع ابن المقفع نفسه، ولم يترجمه عن الفارسية كما هو شائع. وقد جعله على ألسنة البهائم والطير، وألصقه بقدماء الهنود، ليبتعد عما يمكن أن يوجّه إليه لو أنه جعله نقداً مباشراً للحاكمين في عصره، وقوّى رأيه بأن القول بالأصل الهندي قد أخذ عنه في (المقدمة) والأصل الهندي المزعوم شيء لم نقف عليه، ولا أشار إليه أحد من المعنيين بهذه المسألة.

ومن النقد الداخلي لهذه الكتاب نهتدي إلى أن مادة الكتاب عربية، وأن الأدب فيه مادة عربية في تصوّرها وخيالها وطرائق التعبير عن الأفكار، ونلمح فيه بيئة عربية بدوية وحضرية، ولولا هذا الاسم المستعار من البهائم والطير لحسبنا أن ما نقرأه شيئاً من كتابه (الأدب الكبير) مثلاً، وقد اندفع المستشرقون يردّدون مقولة: (الأصل الهندي) للكتاب، جرياً

على طريقتهم في تجريد العرب من كونهم أهل إبداع، ووصفهم العرب بأنهم أمة متّبعة لا مُبْدِعة.

وهذا المعجم جملة وِقفات على كَلِم مُختار، اصطفاه مؤلفه واستقراه من كتب ابن المقفع ورسائله وهو (٢٧٥) كلمة مرتبة على حروف المعجم لما وجد فيه من فوائد خاصة، وهذه الخصوصية تكون في إيراد معنى جديد أو بناء جديد، أو أن في الكلمة إيماءة لشيء يتصل بتاريخها وتطورها، ثم نوّه بتطور هذه الألفاظ، وما خلّفته في العربية المعاصرة، وربما خلت منها هذه العربية الجديدة، فوجدناها شاخصة في الألسُن الدارجة، وفي ذلك كله فائدة تاريخية لغوية.

* * *

من معجم المتنبي

دراسة لغوية تاريخية

دار الحرية ـ بغداد ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م،
٢٥٨ص، ١٧×٢٤سم.

هذا المعجم هو خلاصة اسْتِقْراء السامرائي لشعر المتنبي استقراءً وافياً، فتهيّأ له هذا المعجم، وهو جَهد لغوي معجمي، يتّصل بعناصر من لغة المتنبي، عرض فيه للكلمة وأصلها وتطورها واستعمالها واتصالها بالظروف الطبيعية والاجتماعية، وهذا الجهد اللغوي قائم على ألفاظٍ منها ما استعملها المتنبي، فكانت ذاتَ مكانٍ خاص في شعره، بسَبَبٍ من طريقة الاستعمال، وأنها لم تكن كغيرها من سائر ما استعمله المتنبي من مواد لغوية، شاركه فيها غيره من الشعراء، ومنها ما وردت في شعره واستعملها كما استعملها غيره، ولكنها في ذاتها جديرة بالبحث، من حيث إنها ذات مسيرة طويلة، فهي ذات حياة تكشف عن قوة العربية وأصالتها وحيويّتها.

ومن هنا فالمواد التي يضمّها هذا المعجم مواد خاصة، آثر السامرائي أن يدرسها، فيعرض مكان الشاعر في طائفة منها، وطريقة فهمه لها، كما عرض لمواد أخرى وردت في شعره، فكانت من المواد التاريخية التي تتصل بالبيئة العربية، فتكشف عن بداوة تارة، كما تنبئ عن قدرة فائقة في التعبير عن مواد الحضارة. وهذا العمل اللغوي مشاركة في معرفة شيء من تاريخ العربية خلال عصور عدّة.

ولم يكن هذا المعجم إلا عملاً لغوياً لطائفة من الألفاظ التي كان فيها

ضَرْبٌ من المُشْكَل، ولم يرد مؤلفه بالمشكل على نحو ما أُريد بالمشكل لدى اللغويين الأقدمين، ولكنه أراد به أن اللفظ خاصٌّ في بُنيته، خاصٌّ في استعماله، مَعوز لما يستحق أن يقال فيه ممّا هو جديد في البحث اللغوي من الناحية التاريخية.

* * *

النحو العربي

نقد وبناء

دار البيارق - بيروت، دار عمّار - عمّان
١٤١٨هـ=١٩٩٧م، ٢٤٢ص، ١٧×٢٤سم

عَكَفَ السامرائي على النحو باحثاً دارساً، ينقّي وِرْدَه المورود من شوائب تراكمت فيه على مدى العصور، ليعود به إلى نَهْجه العربي الأصيل، بعد أن غمّ هذا النهج على الدارسين في تفريعات وتعقيدات، وتاهت معالمه في تعليلات زادته عِلّة، وتأويلات زادته ضَلّة، وافتراضات سقيمة عقيمة أوغلت في افتراضاتها. كأن النحاة لا يعرفون أن تعقيد الكلام أمر يقدح في البلاغة.

وهذا الكتاب مباحث عَرَض فيها للنحو العربي القديم ليبيّن ما فيه مما هو غريب عن المادة اللغوية، وجرى في مباحثه على نقد النحو القديم ليظهر ما فيه من مواد وأساليب ليست منه، وليقف القارئ على ما يمكن أن يعرفه من العلم النحوي ليميّز بين الصحيح وغير الصحيح، وليبصّره بالأسباب التي حَفَزَت الأقدمين على أن يبتعدوا عن العمل في مباشرتهم الكثير من حقائق اللغة، ورسم خطوطاً لبناء جديد لهذا العلم اللغوي، وخَلُص من ذلك إلى حَمْل الدارسين على أن يكتبوا نحواً جديداً يعين الناشئة على فهم هذه اللغة الكريمة، فالتيسير أمسى ضرورة لتعليم لغتنا إلى أحداثنا الذين يعانون مما هم فيه من مصاعب فهم العربية لغة ونحواً.

* * *

نزهة الألبّاء في طبقات الأُدباء

للأنباري

مكتبة المنار ـ الزرقاء ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م،
٣١٠ص، ١٧×٢٤سم. المقدمة ١٦ص،
النص ص١٧ ـ ٣٠٢، الفهارس ٣٠٣ ـ ٣١٠

هـذا الكتـاب ضمّنـه مؤلفه أعيـانَ الأدبـاء ومعارِفَهم وأحوالَهـم وأزمانَهم، مع ذِكْر مَنْ قاربَهم في الفضل والإتقان، وهو يبدأ بمقدمة في نشأة علم النحو في القرن الأول، ثم تتوالى فيه تراجم اللغويين والأدبـاء والنحاة مرتبـة ترتيباً زمنيـاً عاماً، بحسب سَنيّ وفاة أصحابها وعددهم (١٧٩) أديباً، فبدأ بـ (نصر بن عاصم) الذي توفي سنة ٩٠هـ وختمـه بـ(أبي السعادات ابن الشجري) الذي توفي سنة ٥٤٢هـ.

وهـذا الكتـاب صغيـر الحجـم، ولكنـه جمـع بيـن المتقـدميـن والمتأخرين، وكأنّه اختصار وتركيز لطالب، أو لأستاذ يريد جمع خزانة كتب في كتاب مع صفاء الأسـلوب، وتحقيق الأخبـار، وسرعة الإدراك بخصائص الرجال المميّزة.

ويعدُّ من مراجع البحث في موضوعات اللغة والنحو والأدب، لأن مؤلفه من الثقات المجوّدين، فقد انقطع للعلم والجد والعمل، ومن أجل هذا جاءت أخباره صحيحة موثوقاً بها.

ويعدُّ أيضاً مصدراً مهمّـاً في تاريخ مَنْ تـرجم لهم من المتأخرين،

وممّن عاصرهم؛ كابن الجَواليقي وابن الشَّجَري.

طبع الكتاب طبعتين سقيمتين ـ كما يقول السامرائي ـ ورجع إلى مخطوطة دار الكتب المصرية رقم (١٩٥٢)، تاريخ، وقابل بين المخطوطة والمطبوعة، وقطع بأن المطبوعة كانت على أصل مخطوط آخر، ولم تسلم المخطوطة من الخطأ والتصحيف والتزيد، فعَمَد إلى الرجوع إلى مظان أخرى للتثبت في التراجم، ورمز للنسخة المطبوعة الحجرية في القاهرة عام ١٢٩٤هـ بـ(ق) ولمخطوطة دار الكتب بـ(د).

* * *

الخاتمة

في ظهر يوم الأربعاء ٢ صفر ١٤٢٢هـ = ٢٥/ ٤/ ٢٠٠١م فقَدَ أهلُ اللغةِ والأدب والشعر واحداً من فرسانهم (إبراهيم السامرائي) رحمه الله وغفر له، الذي اصطفاه الله لجواره في عمّان، ودُفن فيها، ولم يشيّعه إلا قِلّة.

وكان اغترابه في اليمن والأردن أشقّ على نفسه من الموت. وإنّ كِبْرياءه وحدها هي التي مكَّنَتْه من مواصلة الاحتمال.

كان العلم رائده، وطلب الاستزادة منه غايته، يقول بجرأة العالم الواثق بعلمه، لم يُغْره مال، ولم يجتذبه منصب، فيروح يصارع من أجله وفي سبيله.

كان أمة في رجل، خذلته الأمة، وخذله دعاة الإقليمية، وخذله الحاسدون، وخذله كارهو النقد، وظل الإحساس بالوحدة والعقوق يخامره حتى آخر لحظة من حياته المثقلة بالغربة والتشرّد والتجاهل.

فمتى تفكّر الأمة العربية بالاستفادة من العلماء، وتقضي على القُطرية والإقليمية والبلدية، كما قضت عليها الولايات المتحدة الأمريكية، فتقدَّمت بهؤلاء، وطوَّرت حياتها وحضارتها ومجتمعها. ولن تزدهر الحضارة وتسمو الأمم إلا برعاية النابغين والمخترعين، فالولايات المتحدة الأمريكية بذلت قصارى جَهْدها لجلب النوابغ من الأُمم كلها، مع تباين الأصول واختلاف اللغات والأديان، وبذلت الغالي في سبيل دعم حضارتها بهم، فازدهرت العلوم والآداب في ربوعها، وسيطرت

على العالم كلّه عندما حَوَت علماء العالم. وأُمتنـا العربية تضيّع خيـر العلماء في كلّ عام دون اكتراث واهتمام.

كنتُ آمل أنْ يصدر هذا الكتاب في حياته، ليكون تكريماً له في حياته، وشاء الله ـ ولا رادّ لقضائه ـ أن يكون تكريماً له وهو ميّت.

رحمك الله يا أبا علي، وأثابك كِفاء ما قدّمت لأُمّتك ولغتها.

* * *

الفَهرس

* * *